الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: . . . . . / 2025. **رقم التسجيل (ط1):** .....

العرب الهلالية في المغرب الاوسط خلال ق5هـ/11م

قراءة في منظور ابن خلدون

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ في العصر الوسيط

من إعداد الطالبة:

- سميرة بركات

إشراف الدكتور:

- محمد الصديق محمودي

جدول المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
طارق بن زاوي	جامعة المسيلة	رئيسا
محمد الصديق محمودي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
عبد الرحمان نويقة	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445-1446 هـ / 2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي ادناه ،

السيد(ة): سميرة بركات

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم:

الصادرة بتاريخ: عن دائرة:

المسجل بكلية: العلوم الانسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ غرب اسلامي تحت رقم التسجيل: 202035082103

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الحرب العلانية في المغرب الاوسط خلال القرن الخامس/ الحادي عشر ميلادي قراءة نقدية من منظور ابن خلدون

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 25/09/2024

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الحرب العلائية في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر الميلادي دراسة مقارنة من منظور ابن خلدون

إعداد الطلبة:

1- بركات سميرة رقم التسجيل: 202035089103

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** التاريخ التخصص: تاريخ عرب اسلامي

إشراف: محمودي محمد الصديق **الرتبة:** دكتور

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): **رئيس فريق الاختصاص**

رئيس القسم

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
نائب رئيس
قسم التاريخ
مكلف بما بعد التدرج
والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الأستاذ: محمد يعيش

شكر وعرفان

الحمد لله الذي منَّ علينا بتوفيقه لإتمام هذا العمل، واقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

أتوجه بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذنا المشرف الدكتور

محمودي محمد الصديق

على كريم إشرافه وتوجيهاته السديدة، وما بذله من جهد مشكور في سبيل إنجاح هذا البحث وإثرائه بالعلم والمعرفة.

كما أتقدم بخالص التقدير إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل على ما تفضلوا به من وقت وجهد في تقويم هذا العمل.

ولا يسعني في الختام إلا أن أجدد الشكر لجميع أساتذتي الأجلاء الذين لم يبخلوا عليَّ بعلمهم ونصحهم وتوجيهاتهم، فكانوا قدوة ملهمة ومثالاً يحتذى به في حب العلم والتعلم، وغرسوا فينا روح البحث والاستقصاء. وأسأل الله أن يبقى أثرهم المبارك خالدًا في سجل العلم والمعرفة.

إهداء

إلى من أحمل اسمه بفخر، ومن أكرمه الله بالعز والشرف؛

إلى أبـــــي العزيـــز

الذي أزال الأشواك من طريقي وزرع الراحة مكانها، فكان سندي وركيزة قوتي إلى

والدتـــــــي الغاليــة

التي حملت اسمي في دعائها ليلًا ونهارا، وملأت حياتي بالحنان والطمأنينة، فكانت

سبب توفيقي ونجاحي.

إلى إخوتي الأعزاء،

رفقاء الدرب وسور قلبي المتين، الذين كانوا دائما مصدر دعمي وقوتي.

بفضلهم وبفضل الله، أسطر اليوم ثمرة جهدي واجتهادي

وما توفيقي إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

سميرة بركات

مقدمة

مقدمة:

منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، دخلت المنطقة تحت سلطة الدولة الإسلامية، فخضعت أولا للحكم الراشدي الذي عين الولاة لتنظيم شؤونها، تم بعد ذلك إلى الولاة الأمويين وتلاهم حكم الأغالبة الذين ساهموا في جعل القيروان عاصمة دينية وسياسية، تلاهم الفاطميون الذين بسطوا نفوذهم قبل انتقالهم إلى مصر، تاركين السلطة للزيريين، وكان البربر يشكّل العنصر الأكبر للسكان، واندمجت معهم القبائل العربية الأولى القادمة مع الفتح، وقد ترافق هذا المسار مع تحولات اجتماعية واقتصادية عميقة، تمثّلت في انتشار الإسلام واللغة تدريجياً بين قبائل البربر، وتنامي دور المدن الكبرى كالقيروان وفاس كحواضر للعلم والسياسة والتجارة، ومع بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كانت بلاد المغرب قد بلغت درجة من التوتر السياسي والاضطراب الاجتماعي جعلتها مهيأة لاستقبال تحوّلات كبرى، على رأسها دخول قبائل العرب الهلالية لبلاد المغرب، التي مثّلت محطة فاصلة في تاريخ المنطقة.

لهذا يُعدّ موضوع القبائل الهلالية من القضايا التي حظيت باهتمام واسع لدى الكثير من المؤرخين والباحثين، ورغم كثرة الدراسات التي تناولته، إلا أنه ما يزال يكتنفه الكثير من الغموض ويحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق، وتزداد أهمية هذا الموضوع عند الحديث عن المغرب الأوسط، لارتباطه الوثيق بمسألة العروبة التي سعى بعض المستشرقين إلى التشويش عليها وتشويه معالمها، والتشكيك في أصولها العربية، ومن هذا المنطلق، تبرز ضرورة تناول مثل هذه القضايا بأسلوب علمي ومنهج موضوعي يضمن الوصول إلى نتائج دقيقة تعكس حقيقتها التاريخية.

كما أن المتصفح للدراسات التي تناولت تاريخ المغرب الأوسط يلاحظ أن معظمها لم تقتصر على تضخيم صورة المنطقة وإمكاناتها في شتى المجالات قبل قدوم قبائل بني هلال، بل ذهبت إلى التأكيد على الآثار السلبية المنسوبة إليهم، وقد شكّل دخول هذه القبائل العربية إلى المغرب في القرن الخامس للهجرة والموافق للقرن الحادي العشر الميلادي (5هـ/11م) حدثا فارقا ميز تاريخ منطقة المغرب الأوسط في القرون التي تلت الهجرة للعرب الهلالية، ونجد العديد من المؤرخون العرب الأوائل، قد دوّنوا أحداث القرن

الخامس الهجري توثيقا دقيقا، ورغم تنوع التفاصيل التي احتوتها رواياتهم، فإنها تكاد تجمع على تحميل القبائل الهلالية مسؤولية الدمار والخراب الذي لحق بمنطقة المغرب، وهناك آراء أخرى تؤكد على أن دور بني هلال في تاريخ المنطقة لم يكن سلبيا على الدوام.

ويمكن القول بأن ظهور العرب الهلالية، هو ظهور مكون ثاني من مكونات مجتمع المغرب الأوسط، وكانت هذه الهجرة من أبرز العوامل التي أثّرت بعمق في مسار التاريخ خلال العصر الوسيط، إذ شكلت قوة فاعلة في إرساء حضارة جديدة بالمنطقة، وهي من أشهر الهجرات العربية إلى بلاد المغرب، وقد ساهمت الظروف السياسية والاقتصادية آنذاك في دفع هؤلاء العرب إلى التوجه نحو المغرب، حيث تركوا بصمات واضحة في مختلف جوانب الحياة المغربية، ويمكن القول إن هذه الهجرة أحدثت تحولا جذريا في ملامح الحياة بالمغرب، وأثّرت في مساره السياسي والحضاري على حد سواء.

ويتناول هذا البحث دراسة العرب الهلالية في منطقة المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري، مستندين إلى رؤية ابن خلدون وآراء بعض من المؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة، ويبرز ابن خلدون بوصفه أحد أبرز المؤرخين العرب الذين أولوا اهتماما خاصا بموضوع هجرة بني هلال إلى المغرب، إذ أفرد لها حيزا واسعا في مؤلفه «كتاب العبر» ويعد هذا الكتاب مرجعا أساسيا في دراسة هذه الحقبة، غير أن منهجه التاريخي لم يسلم من النقد، إذ رأى بعض المؤرخين أن رواياته قد تأثرت بالتصورات السائدة في عصره، وأنه بالغ في تصوير الآثار السلبية لبني هلال على المغرب الأوسط، في حين اعتبر آخرون أن بعض أحكامه جاءت انتقائية، مما دفع باحثين معاصرين إلى إعادة قراءة نصوصه في ضوء المعطيات التاريخية والأثرية الحديثة.

ونحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على ظهور أحد مكونات المجتمع في المغرب الأوسط، وهم قبائل بني هلال خلال القرن الخامس للهجرة، وتشمل هذه الدراسة الكشف عن تاريخ قبائل العرب الهلالية وظروف دخولها إلى بلاد المغرب، ونحاول إبراز الصورة التي رسمها ابن خلدون لهذه الهجرة وآثارها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، إلى جانب التطرق إلى مختلف الآراء النقدية التي وجهت إليه من قبل المؤرخين والباحثين، بهدف الوقوف على مدى دقة توثيقه للتاريخ وموضوعية أحكامه.

1/- أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى ما هو ذاتي وما هو موضوعي:

*** دوافع ذاتية**

- اهتمامي الشخصي بتاريخ المغرب الأوسط ورغبتي في فهم المراحل التي أثرت في تكوينه.
- شغفي بدراسة منهج ابن خلدون وتحليلاته لمثل هذه الأحداث التاريخية.
- رغبتي في الإسهام ببحث يعالج موضوعا ما يزال يثير الجدل بين الباحثين.

*** دوافع موضوعية**

- الأهمية التاريخية للهجرة الهلالية باعتبارها حدثا بارزا ترك بصماته في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية للمغرب الأوسط.
- ارتباط الموضوع بمسألة الهوية العربية في المنطقة، وما تعرضت له من محاولات تشويه أو طمس من قبل بعض الكتاب والمستشرقين.
- الحاجة إلى إعادة قراءة نصوص ابن خلدون في ضوء الدراسات الحديثة ومقارنتها بمصادر أخرى لفهم أعمق للأحداث.
- كون رواية ابن خلدون عن هذه الهجرة من أهم المصادر، لكنها في الوقت نفسه محل نقد واختلاف في التفسير بين المؤرخين.

2/- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى إلى تقديم قراءة معمقة للرواية الخلدونية حول العرب الهلالية بالمغرب الأوسط، من خلال تحليل منهج ابن خلدون والكشف عن دقة رؤيته وحدودها، كما تبرز قيمتها الأكاديمية في إثراء المكتبة التاريخية بإسهام نقدي بين المعطيات الخلدونية والمصادر الأخرى، مما يتيح فهما أوسع للهجرة الهلالية، بعيدا عن الأحكام المسبقة.

وتظهر أهميتها العلمية في فتح آفاق جديدة أمام الباحثين والمهتمين بالتاريخ الاجتماعي والسياسي للمنطقة، مع تقديم الدراسة نموذجا علميا لكيفية توظيف المناهج التاريخية وآليات التحليل والنقد والاستقراء في دراسة الأحداث والشخصيات التاريخية.

3/- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مكانة ابن خلدون كمصدر رئيسي لدراسة العرب الهلالية في المغرب الأوسط، وذلك من خلال تحليل طريقته في عرض الأحداث وتفسيره لأصل هذه القبائل ودورها في التحولات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها المنطقة، كما تسعى إلى تقديم قراءة نقدية للرواية الخلدونية عبر مقارنتها بمعطيات تاريخية أخرى، للكشف عن مدى دقتها وموضوعيتها.

وتركز الدراسة كذلك على إبراز مختلف الأبعاد التي رافقت الهجرة الهلالية، بعيدا عن النظرة الأحادية التي حصرتها في الجانب التخريبي، مع محاولة فهم الظروف الفكرية والسياسية التي ربما أثرت في رؤية ابن خلدون وصياغته لمواقفه.

4/- الإشكالية:

انطلاقا مما سبق، ارتأينا صياغة إشكالية نسعى من خلالها إلى التوصل إلى جملة من النتائج المرتبطة بموضوع هذه الدراسة، وهي:

- **إلى أي مدى أثرت الهجرة الهلالية على المغرب الأوسط حسب نظرة ابن خلدون؟ وماهي أبرز الآراء التي وجّهت النقد لتوثيقه لهذه الأحداث؟**

- ويتفرع عن الإشكالية الرئيسية تساؤلات، وهي:

- ما هو أصل هذه القبائل العربية؟ وماهي الظروف التي أحاطت بهم قبل هجرتهم إلى المغرب الأوسط؟
- كيف كانت أوضاع المغرب الأوسط قبل هذا الزحف الهلالي للمنطقة؟
- كيف أثرت هجرة هذه القبائل العربية على المجالات السياسية والحضارية بالمغرب؟
- ما هي أبرز الانتقادات التي وجهت لابن خلدون في تناوله لهذه المرحلة التاريخية؟

5/- الدراسات السابقة:

لقد ارتبطت أغلب الدراسات التي تناولت دخول العرب الهلاليين إلى بلاد المغرب ارتباطا وثيقا بما أورده ابن خلدون، حيث تُعد رواياته المصدر الأشمل والأكثر تأثيرًا في رسم صورة هذه الهجرات وما خلّفته من نتائج، فوظفها بعض الباحثين توظيفا وصفيا مباشرا، في حين سعى آخرون إلى إخضاعها لقراءات نقدية تكشف عن أبعادها الفكرية والسياقية، لذا فإنّ الدراسات التي تناولت موضوع العرب الهلالية في ضوء روايات ابن خلدون تبقى محدودة نسبيًا، غير أنّها شكلت محورا أساسيا اعتمد عليه جلّ الباحثين في مقاربة هذه الظاهرة التاريخية، ومن بين هذه الدراسات، نجد:

- دراسة "راضي دغفوس" وكان عنوان هذه الدراسة «**دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة في إفريقية وبلاد المغرب في أواخر العهد الوسيط**» مخبر العالم العربي الإسلامية، جامعة تونس (2012).

- من اهم القضايا التي ناقشتها هذه الدراسة مساهمة هجرة القبائل الهلالية والسليمية في تأجيج عملية التعريب والأسلمة في منطقتي إفريقية وبلاد المغرب، فأضافت بُعدا حاسمًا لفهم التحولات السكانية واللغوية والدينية خلال هذه الحقبة، كما احتوت الدراسة

على كيف نشرت هذه القبائل العربية ثقافتها ولغتها، ومدى تفاعلها مع قبائل البربر، وكيف أثر هذا الدخول على مجتمعات المغرب.

❖ دراسة "دليلة بوعافية" بعنوان «**منهج ابن خلدون في كتابة تاريخ الأمة البربرية والعرب الهلالية مستخرج من كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)**» مذكرة ماستر تخصص تاريخ العرب الإسلامي، جامعة محمد بوضياف المسيلة (2014).

– تناولت هذه الدراسة قضايا جوهرية، أبرزها منهج ابن خلدون في عرض أخبار القبائل وإخضاعها للتحليل النقدي، وركزت على كيفية تناوله لتاريخ الأمة البربرية والقبائل الهلالية من زاوية الأنساب، وأدوار العصبية، كما ناقشت الدراسة مقاربته لأحداث الهجرة الهلالية، وكيفية ربطها بالتحولات الاجتماعية والسياسية في بلاد المغرب، فضلاً عن تبيان أسلوبه في الموازنة بين الأخبار وتمحيص الروايات التاريخية.

* دراسة "هدى حملاوي" تحت عنوان «**العرب الهلالية في بلاد المغرب الأوسط وعلاقتهم بالمجال والسلطية والمجتمع (عهد الدولة الحمادية) أنموذجا**» مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، بجامعة المسيلة (2021).

– ناقشت هذه الدراسة موضوع دخول القبائل الهلالية إلى المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية من قرنيَي 4 و5 هـ، وركزت الدراسة على العلاقة المعقدة بين السلطة الحمادية وهؤلاء المهاجرين، وكيف تعامل الحُكام معهم، من خلال احتواء المجال الريفي والضواحي وضبط المسالك التجارية، والسماح لهم بالاستقرار والاندماج في المجتمع المحلي، كما أبرزت الدراسة قوة تأثير هذه الهجرة مع التحولات الاجتماعية، التي تشمل تداعيات التوغلات الهلالية في الأرياف والمراكز الريفية.

6/- المنهج المعتمد:

- نظرا لطبيعة موضوع "**العرب الهلالية من منظور ابن خلدون في المغرب الأوسط خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي (5هـ/11م)**"، فقد تم اعتماد «المنهج التاريخي» لما يتيح من تتبع للأحداث وربطها بسياقها الزمني وتحليلها في ضوء الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها.

- وقد تم توظيف آلية الاسترداد واستقراء المعلومات في الفصل التمهيدي والأول من خلال جمع المعطيات المتعلقة بابن خلدون والعرب الهلالية من المصادر الأصلية والمرجع المعاصرة، ثم ترتيبها وفق تسلسل تاريخي دقيق، كما تم استخدام آلية التحليل في الفصل الثاني لتفكيك نصوص ابن خلدون وفهم أبعادها السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية، أما آلية النقد، فقد استخدمت في الفصل الثالث للرد على طرح ابن خلدون عبر مقارنته بآراء مؤرخين وتقديم رؤية أكثر شمولية لموضوع الهجرة الهلالية في المغرب الأوسط.

7/- خطة الدراسة:

سعيا منا للوصول إلى غاية هذا البحث، ارتأينا إعداد خطة، قُسمت إلى ثلاثة فصول:

- «**الفصل الأول**» قمنا فيه بالتعريف بتاريخ العرب الهلالية ومسار حضورها في المغرب، حيث نقوم بتعريف هذه القبيلة وبيان نسبها وأصلها وظروف اعتناقها الإسلام، ثم نتناول مراحل دخولها إلى المغرب الأوسط، مع التطرق إلى أوضاع المغرب قبيل هذا الدخول، وصولاً إلى دراسة انتشارهم ومناطق تمركزهم في مختلف جهات المغرب.

ويأتي «**الفصل الثاني**» عرفنا فيه بابن خلدون ومنهجه التاريخي، ونظرته للهلاليين حيث نسعى فيه إلى تتبع مختلف التأثيرات التي أحدثها الهلاليون في بلاد المغرب، مستندين إلى الرؤية التحليلية التي قدّمها ابن خلدون، وذلك بغية فهم أبعاد التحول الذي شهدته المنطقة في ظل هذه الهجرة، التي جمعت بين معالم التخريب والتأسيس، ومظاهر التدمير والبناء في تاريخ المغرب.

وأخير نتناول «**الفصل الثالث**» الذي سلطنا فيه الضوء على أبرز الانتقادات التي وجهت إلى ابن خلدون في معالجته لتاريخ بلاد المغرب، مع التركيز على منهجه في تناول الأحداث وتحليلها، كما نتعرف على طبيعة الملاحظات التي أثارها الباحثون والمفكرون حول آرائه، ولا سيما ما يتصل بعلاقته برصد التأثيرات السياسية والاقتصادية، إضافة إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية، وذلك في سياق فهم أعمق لمدى موضوعية طرحه ودقة توثيقه لهذه الأحداث.

إضافة إلى مقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

8/- نقد المصادر:

إنّ تناول موضوع العرب الهلالية في بلاد المغرب يقتضي الوقوف على طبيعة المصادر التي اعتمدت في تدوين أخبارهم، وأهم هذه المصادر:

- كتاب «**العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**» للمؤرخ "**عبد الرحمن بن خلدون" (808هـ/1405م)**، والذي أعتبره المصدر الأول والرئيسي في مختلف أجزاء هذه الدراسة، ويعد من أبرز المصادر التي تناولت العرب الهلالية في بلاد المغرب، إذ خصّص لهم حيّزًا واسعًا تناول فيه أنسابهم، ومسارات هجرتهم، وأدوارهم في التحولات السياسية والاجتماعية والعمرانية، وتكمن إيجابيات هذا المؤلَّف في غزارة معلوماته وتنوعها، لكونه جمع بين ما نقله عن المؤرخين السابقين وما شاهده بنفسه أثناء معايشته لبعض بطون الهلاليين في المغرب الأوسط، إضافة إلى تميّزه بالمنهج التحليلي الذي يتجاوز السرد الإخباري نحو تفسير الوقائع من خلال نظرية العصبية وقوانين العمران البشري، أما سلبياته فتتمثل في نزعة التحيز ضد الهلاليين عبر التركيز على آثارهم التخريبية، والمبالغة في تصوير نتائج هجرتهم، فضلاً عن اعتماده في بعض الأخبار على روايات شفوية غير ممحّصة، ومع ذلك، فإن أهم ما أخذناه من هذا المصدر يتمثل في ثرائه بالمادة التاريخية حول أنساب الهلاليين، تحركاتهم في بلاد المغرب، طبيعة علاقتهم بالسلطة، وتأثيراتهم العميقة في المجال والعمران، مما يجعله قاعدة معرفية أساسية لا غنى عنها، شرط التعامل معها بنظرة نقدية ومقارنتها بمضامين المصادر الأخرى.

- كتاب «**جمهرة أنساب العرب** » للمؤرخ والأديب **"ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي" (456هـ/1064م)**، يُعدّ هذا الكتاب من بين المؤلفات التي حفظت لنا تفاصيل دقيقة عن أنساب القبائل العربية، ومنها قبائل بني هلال، وتكمن إيجابيات هذا المصدر في كونه مرجعا نسبيا موسوعيًا، جمع فيه المؤلف أصول القبائل وفروعها، مما يساعد على تتبع الامتداد التاريخي للعرب الهلاليين قبل هجرتهم إلى المغرب، كما يتميز بدقة ابن حزم في التوثيق واعتماده على منهج نقدي يقوم على التمحيص والمقارنة بين الروايات النسبية، غير أنّ هذا الكتاب يظل محدود الفائدة من الناحية التاريخية والسياسية، إذ يغلب عليه الطابع النسبي دون التطرق إلى الأدوار الاجتماعية أو الحضارية للقبائل، فضلًا عن اعتماده أحيانًا على روايات منقولة تفتقر إلى الشرح أو التفصيل، وأهم ما أخذناه من هذا المصدر يتمثل في تحديد الأنساب الصحيحة لبني هلال، ومعرفة فروعهم الرئيسة، ورسم الصورة الأولى لأصولهم في جزيرة العرب قبل انتقالهم إلى بلاد المغرب، وهو ما يجعله أداة أساسية في بناء الإطار النسبي للقبائل المدروسة.

- كتاب «**الكامل في التاريخ**» للمؤرخ "**ابن الأثير**" **(733هـ/1332م)**، يعتبر هذا المصدر من أهم المصادر العامة التي أرّخت للأحداث الكبرى في المشرق والمغرب الإسلامي على حد سواء، بما في ذلك ذكر العرب الهلالية، وتبرز إيجابيات هذا الكتاب في كونه مرجعا شاملا يجمع الأخبار من مختلف الأقاليم الإسلامية، ويقدّم روايات زمنية متسلسلة تساعد على ربط هجرة الهلاليين بسياقها العام المتعلق بضعف الدولة الفاطمية واستعانتها بهم للسيطرة على إفريقية، كما يتميز ابن الأثير بقدرته على التوفيق بين الروايات المشرقية والمغربية، مع حرصه على الترتيب الزمني الدقيق للأحداث، أما سلبياته فتتمثل في اعتماده الكبير على النقل من المؤرخين السابقين دون إضافة ملاحظات تحليلية خاصة به، مما يجعله أقرب إلى التجميع منه إلى النقد، فضلاً عن محدودية التفاصيل المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والحضارية للهلاليين في بلاد المغرب، وأهم ما أخذناه من هذا المصدر هو الإطار التاريخي والسياسي العام لهجرة العرب الهلالية إلى المغرب، والظروف التي دفعت الفاطميين إلى إرسالهم، بالإضافة إلى رصد أبرز تحركاتهم الأولى في بلاد المغرب.

9/- صعوبات البحث:

خلال إعداد هذا البحث، واجهتني عدة صعوبات، من أبرزها ندرة بعض المصادر الأصلية المتعلقة بمرحلة الهجرة الهلالية وصعوبة الحصول على بعضها، إضافة إلى تباين الروايات التاريخية بين المؤرخين، مما استلزم جهدا آخرا للمقارنة والتحقق من صحة المعطيات، إضافة إلى ذلك كبر حجم مؤلفات ابن خلدون وتنوع موضوعاتها، مما تطلب وقتا وجهدا كبيرا لاستخلاص ما يتعلق بموضوع البحث بدقة، وقد تعمّقت هذه الصعوبات مع تعدد الآراء النقدية وتباينها حول موضوع الدراسة، الأمر الذي استدعى مراجعة شاملة لها للوصول إلى طرح موضوعي ومتوازن.

وفي الأخير نجدد الشكر لكل من ساهم في إنجاح إنجاز البحث.

الفصل الأول

العرب الهلالية بالمغرب

المغرب الإسلامي بحكم موقعه الجغرافي المتميز شكّل عبر التاريخ فضاءً لتفاعل التيارات المذهبية والسياسية المختلفة، وملاذًا للمفكرين وأصحاب المذاهب، كما كان من أوائل أقاليم العالم الإسلامي التي شهدت مظاهر الانفصال السياسي والديني وتعدد أنظمة الحكم، ومن أبرز الأحداث التي عرفها، الهجرة الهلالية[1] في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والتي مثّلت نقطة تحول فارقة أحدثت تغييرات عميقة مست مختلف جوانب المجتمع المغربي، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللغوية والدينية، وهي آثار ممتدة إلى اليوم.

وفي هذا الفصل سنحاول التعرف على هؤلاء العرب الهلالية، نسبهم وأصلهم وكيف كانت بدايات إسلامهم؟ ثم كيف تم دخولهم إلى المغرب الإسلامي؟ وما طبيعة الأوضاع التي كان يعيشها المغرب قبيل قدومهم؟ وأين توزعوا بعد استقرارهم وما أبرز مناطق تمركزهم؟

[1]- **ينظر**: الملحق رقم 01: خريطة توضح توزيع قبائل العرب الهلالية ببلاد المغرب: (ص85).

أولا: التعريف بالعرب الهلالية

لعبت القبائل العربية دورا مهما في التحولات الاجتماعية والسياسية وكذلك الثقافية في بلاد المغرب، وكان دخولهم لهذه البلاد بداية مرحلة تاريخية جديدة، تميزت باندماج العرب مع البربر، وخلال هذا سنحاول التعرف نسب وأصل قبائل بني هلال، وبيان بطونهم، كذلك سنحاول تتبع مسار دخولهم الإسلام، وحضورهم في الدعوة والفتوحات الإسلامية.

1- العرب الهلالية (النسب والأصل) [1]:

ظهرت قبائل العرب وتحديدا قبائل عرب بني هلال في بلاد المغرب خلال منتصف القرن الخامس الهجري والقرن الحادي عشر الميلادي[2]، كمكون تاريخي ضمن تركيبة مجتمع بلاد المغرب، وتعد فاتحة لعهد جديد في حياة هذا الإقليم، حيث اندمج العنصر البربري مع العنصر العربي، مما أدى إلى نشوء نسيج اجتماعي متماسك، وتنقسم أنساب العرب عموما إلى ثلاثة رجال: (عدنان / قحطان / قضاعة)، ولكل منهم شعب عظيم، يقول ابن خلدون في كتابه "العبر" : «اعلم أنّ جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي عدنان وقحطان وقضاعة. فأمّا (عدنان): فهو من ولد إسماعيل بالاتفاق، إلّا ذكر الآباء الذين بينه وبين إسماعيل فليس فيه شيء يرجع إلى يقينه، وغير عدنان من ولد إسماعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد؛ وأمّا (قحطان): فقيل من ولد إسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل؛ وأمّا (قضاعة): فقيل إنّها حمير قاله ابن إسحاق والكلبي وطائفة».[3]

وبعد ذلك تشعّبت هذه الشعوب إلى قبائل وعمائر وبطون وفصائل، وقد كانت الجزيرة العربية الموطن الأصلي لأغلبية هذه القبائل العربية، وكانت العلاقات فيما بينها تتشكل وفقا لما تفرضه ظروفهم ومصالحهم[4]، ومن بين هذه القبائل «**قبائل عرب بنو هلال**»، حيث كانت الجزيرة العربية الموطن الأصلي لهاته المجموعة، تمتد مواقعهم في

---

[1]- **ينظر**: الملحق رقم 02: مخطط يوضح شجرة نسب قبيلة بني هلال وبطونها: (ص86).

[2]- ابن عذاري المراكشي (712ه)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، (تح): كولان ليفى بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، 1980)، ج1، ص288. عبد الرحمان بن خلدون (ت808ه)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: محمد علي بيضون، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، ج6، ص18.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص ص 290،289.

[4]- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط2، (القاهرة، دار الرشاد، 2005)، ص168.

الجزيرة العربية من غرب واحة التربة نحو الشرق إلى الأراضي المرتفعة بجنوب مكّة، فضلا عن استقرارهم في أماكن متفرقة من منطقة "نجد" وفي منطقة "الترك" ، والحجاز ودول مكة المكرمة، وفي البسائط الطائف وما بينه وبين جبل "الغزوان" وأقاموا "بالشام" و"تهامة" في ساحل البحر إلى الغرب من "أبها"[1]، فكانت كل هذه المحطات من أجل البحث عن المراعي والماء، فيقول عنهم "ابن خلدون": «بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ».[2]

وتوجد قبائل أخرى تشترك مع بني هلال في الاسم دون الانتماء للنسب، وهم: "بنو هلال بن عفر بن قيس عيلان (عدنانيين)، وبنو هلال بن عمر بن جشم بن عوف بن النخع (قحطانيين)، وكذلك بنو هلال بن عامر بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة (عدنانيين)، وأيضًا بنو هلال بن ربيعة بن زيد بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط، وهم العدنانيين". [3]

أما حول نسب بني هلال الذين اتجهوا إلى المغرب فنجد "ابن الحزم" يذكر عنهم في كتابه "جمهرة أنساب العرب" فيقول: «وهؤلاء بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر».[4]

وتكلم عنهم "ابن الأثير" في كتابه "اللباب في تهذيب الأنساب"، بأنهم ينسبون إلى: «هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ابن منصور بن عكرمة»[5]، وتحدث "خير الدين الزركلي" حول نسب بنو هلال وعن بطونهم النازحة للمغرب، حيث يخبرنا بأن: « هلال بن عامر بن صعصعة، من هوازن، من عدنان :جدٌّ جاهلي، لبنيه أخبار كثيرة ليس منها أكثر ما تتداوله العامة، وبنوه خمسة بطون تفرعت من خمسة أبناء له، وهم :شعبة، وناشرة، ونهيك، وعبد مناف، وعبد الله. وتكاثروا في الحجاز ونجد، ثم تحولوا إلى بادية الشام، ومنها إلى صعيد مصر فكانت لهم أسوان وأكثر بلاد الصعيد.

---

[1]- عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ط8، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997)، ج3، ص1641.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص16.
[3]- عبد الحليم الظاهري، **بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب**، (الرياض، دار العلوم ، 1981)، ص17.
[4]- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت384ه)، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، (مصر، دار المعارف، 1982)، ص273.
[5]- عز الدين ابن الأثير الجزري (630ه)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، (بيروت، دار صادر، 1980م)، ج3، ص396.

ورحلت قبائلهم إلى إفريقية فتغلبوا عليها »،[1] وفيما يلي، سنحاول ذكر أهم بطون الأصلية لقبائل العرب الهلالية التي دخلت المغرب خلال القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، على النحو التالي:

أ)- **الأثبج**[2]: تحدث "ابن خلدون" عن هذه القبلية **(الأثبج)**، وذكر أنهم كانوا أكثر عددًا من غيرهم من الهلاليين، ولهم بطون كثيرة حيث يقول: « كان هؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا وكان التقدّم لهم في جملتهم، وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم، وفي دريد بطنان، ويقولون بزعمهم إن أثبج هو ابن ربيعة ابن نهيك بن هلال/ فكرفة هو ابن الأثبج. وكان لهم جمع وقوّة، وكانوا أحياء غزيرة»[3]، وتحدث ابن خلدون عن دخول الأثبج إلى المغرب عبر قفصة، وأنها انتشرت في مناطق متعددة، وتعزز نفوذهم في المنطقة بعد أن اختصهم الحماديون بالتحالف دون سائر القبائل العربية.

ب)- **جشم:** ورد عند "ابن خلدون" عن هذه الطبقة بأن بطونًا من قرة والعاصم ومقدم والأثبج وجشم والخلط دخلوا إلى المغرب الأقصى في عهد الموحدين، بعد أن أذعنوا لهم زمنًا ثم شاركوا في فتنة ابن غانية، مما دفع الموحدين إلى نقلهم إلى مناطق مختلفة من المغرب، ويقول ابن خلدون حول نسبهم: « وهم: جشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن.....»[4]، وفي قول آخر له: «وجشم المعهود هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن أو لعله جشم آخر من غيرها. وكان شيخهم المشهور لعهد المأمون وبنيه جرمون بن عيسى. ونسبه فيما يزعم بعض المؤرخين أيام الموحدين في بني قرة، وكانت بينهم وبين الخلط شيعة للمأمون وبنيه، فصار سفيان لذلك شيعة يحيى بن الناصر.... »[5].

---

[1]- خير الدين زركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين**، ط15، (بيروت، دار العلم للملايين، 2002)، ج8، ص91.
[2]- **ينظر**: الملحق رقم 03: مخطط يوضح شجرة قبيلة الأثبج الهلالية: (ص87).
[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص28.
[4]- نفسه، ص32.
[5]- نفسه، ص33.

ت)- رياح[1]: وينسبون إلى بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، ويعتبرون من أعز قبائل بني هلال نفرا وأكثرهم جمعا[2]، وتفرعت عنهم قبائل عديدة، منها: الخضر، ومرداس، وأولاد سعد، وأولاد سليم، فيقول "ابن خلدون": « كان هذا القبيل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية وهم: رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وكانت رياستهم لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس بن رياح، وكان من رجالاتهم لذلك العهد الفضل بن علي مذكور في حروبهم مع صنهاجة، وكانت بطونهم عمر ومرداس، وعلى كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح وخضر بن عامر بن رياح وهم الأخضر، ولمرداس بطون : داود بن مرداس وصنبر بن حواز بن عقيل بن مرداس، وإخوتهم مسلم بن عقيل، ومن أولاده عامر بن يزيد بن مرداس بطون أخرى منهم: بنو موسى بن عامر وجابر بن عامر....»[3].

ث)- زغبة[4]: تنتمي قبيلة زغبة إلى القبائل الهلالية، وهم خمسة بطون، حيث يخبرنا ابن خلدون بأنهم: «وبطون زغبة هؤلاء يتعدّدون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة، وقد اقتسموا بلاد المغرب الأوسط كما نذكر في أخبارهم، فـ (بنو يزيد بن زغبة) كان لهم محل من زغبة بالكثرة والشرف[5]، وأما (حصين بن زغبة): فكانت مواطنهم بجوار بني يزيد إلى المغرب عنهم، كانوا حيا حلوا هنالك[6]، وأما (بنو مالك بن زغبة) فهم بطون ثلاثة :سويد بن عامر بن مالك وهم بطنان، العطاف بن ولد عطاف بن رومي بن حارث، والديالم من ولد ديلم بن حسن بن إبراهيم بن رومي فأما سويد فكانوا أحلافا لبني يادين[7]، (وأما بنو عامر بن زغبة) فمواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي المعقل[8]، وأما (عروة بن زغبة) فهم بطنان: النضر بن عروة وخميس بن عروة، وبطون خميس ثلاثة :عبيد الله وفرغ ويقظان[9]».

---

[1]- **ينظر**: الملحق رقم 04: مخطط يوضح شجرة قبيلة رياح الهلالية: (ص88)
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص38.
[3]- نفسه، ص 39.
[4]- **ينظر**: الملحق رقم 05: مخطط يوضح شجرة قبيلة زغبة الهلالية: (ص89)
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص58.
[6]- نفسه، ص51.
[7]- نفسه، ص53.
[8]- نفسه، ص59.
[9]- نفسه، ص67.

ج)- **المعقل**[1]: دخلت قبائل المعقل إلى بلاد المغرب في عدد قليل، وتحيزوا إلى القبائل الهلالية، وهم لا ينسبون إلى بني هلال، إنما يشتركون معهم في الهجرة، فيخبرنا ابن خلدون عن قبائل المعقل ويقول: «هم ثلاثة بطون : ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان، فذوي عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت....، ومواطن ذوي منصور من تاوريرت إلى بلاد درعة...، ومواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر المحيط...»[2].

لذا يمكننا القول بأن قبائل العرب الهلالية لم تكن مجرد جماعات بدوية رحالة، إنما تعتبر مكون حضاري ذا جذور عميقة وذا أثر كبير في تاريخ المغرب الإسلامي، وكانت لهم بطون عديدة شكلت امتدادا حيا للقبائل العدنانية داخل المغرب، وجمعتهم وحدة النسب واتساع الامتداد والتأثير.

2- إسلامهم:

يُعد عرب قبائل بني هلال من بين القبائل التي كان لها أثر واضح في التاريخ العربي والإسلامي، سواء قبل إسلامهم أو بعده، فقبل الإسلام كانت هذه القبيلة منضوية ضمن القبائل العدنانية القيسية، وقد اشتهرت بخصال البداوة، من الشجاعة والفروسية والتمسك بالعادات القبلية الصارمة[3]، وكانت تستوطن مناطق "نجد" و"الحجاز"[4]، وتنتمي إلى القبائل ذات النفوذ والقوة، حيث كانت تشارك في الحروب القبلية وتحتكم إلى أعراف الجاهلية، وكانت قبائل العرب في صحاري شبه الجزيرة العربية في حركة مستمرة تنتقل دائما بحثا عن مصادر العشب والماء، وكان القانون السائد في هذه القبائل الحق في جانب القوة، والبقاء للأفضل والأقوى[5]، فكانت هذه القبائل تدخل في أحلاف مع بعضها، فانتشرت وكثرت الأحلاف في فترة ما قبل الإسلام، ويتم الحلف عن طريق المواثيق والعهود، ومن أشهر هذه الأحلاف، (حلف الفضول، المطيبين، الرباب، حلف قريش

[1]- **ينظر**: الملحق رقم 06: مخطط يوضح شجرة قبيلة المعقل: (ص90)
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص79.
[3]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص442.
[4]- الزركلي، **الأعلام** ، المرجع السابق، ص91.
[5]- عائشة جاب الله عبد الله، **دور بني هلال السياسي والاجتماعي في إفريقية والأندلس**، (مذكرة ماجستير، جامعة عمر المختار، 2009)، ص15.

وحلف الأحابيش)[1]، وكان الغرض منها نصرة المظلوم وحمايته[2]، وعندما جاء الإسلام، فإن الإسلام لم يزده إلاّ قوّة، كما جاء في حديث الرّسول ﷺ: «وأَيُّما حِلْفٍ كانَ في الجاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإسْلامُ إلَّا شِدَّةً»،[3] كما لم تكن قبائل العرب الهلالية متفقة في تاريخ معين لتأريخ أحداثها[4]، إنما كانت القبيلة تؤرخ بيوم من أيامها المشهورة في حروبها، وتؤرخ الأحداث بوقائع الحرب وموت شيوخها ورؤسائها، إلى أن جاء الإسلام، فأصبح التأريخ من الهجرة[5].

ومع بزوغ فجر الإسلام، بدأت هذه القبائل تدخل في الدين الجديد تباعا، متأثرة بالرسالة السماوية التي حملها النبي محمد ﷺ، وأصبحوا جزءًا من الأمة الإسلامية الناشئة، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية ونشر الدين في الأقطار المختلفة، وأصبح ينسب إلى بني هلال أمهات المؤمنين (زينب) بنت خزيمة و(ميمونة) بنت الحارث رضي الله عنهما، يقول "إبن خلدون": « كان لهلال خمسة من الولد: شعبة وناشرة ونهيك وعبد مناف وعبد الله، وبطونهم كلها ترجع إلى هؤلاء الخمسة، فكان من بني عبد مناف **"زينب"** أمّ المؤمنين بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عبد مناف، وكان من بني عبد الله **"ميمونة"** أمّ المؤمنين بنت الحرث بن حزن بن بحير بن هرم بن رويبة بن عبد الله»[6]، وهذ ما يدل على صلة هذه القبيلة الوثيقة بالمجتمع النبوي، النبوي، واستمر دورهم إلى أن برزت سلالتهم في مراحل لاحقة من التاريخ الإسلامي.

فهذه القبيلة (العرب الهلالية) من ضمن القبائل التي دعاها الرّسول ﷺ للإسلام، فقد دعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه[7]، وقد أتى النبي ﷺ بني عامر بن صعصعة، يدعوهم إلى الإسلام، ثم طلبوا "بنو عامر" من رسول الله ﷺ أن يكون الأمر لهم بعد أن ينصر الله رسوله ﷺ، فردّ عليهم الرسول ﷺ قائلا: « الأمر إلى الله يظهر حيث يشاء»، وبعد ذلك ردوا عليه قبيلة بنو عامر «لا حاجة لنا بأمرك»[8]، وعند رجوعهم

---

[1]- عائشة جاب الله، المرجع السابق، ص ص 15،16.
[2]- نفسه، ص16.
[3]- صحيح مسلم: أبي الحسن مسلم، (تق): محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (القاهرة، مؤسسة المختار، 2005)، ص1066.
[4]- أبو الحسن المسعودي، **التنبيه والإشراف**، (مصر، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، 1938)، ص178.
[5]- نفسه، ص179،178.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 371.
[7]- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (213ه)، **السيرة النبوية لابن هشام**، (تح): مصطفى السقا وآخرون، ط2، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1955)، ج1، ص ص424، 425.
[8]- المرجع نفسه، ص425.

إلى قبيلتهم كان لهم شيخا يخبروه بكل ما يحدث لهم، فقصوا عليه كل ما حدث مع رسول الله ﷺ ، ثم أخبرهم بأنه الحق[1].

ففي السنة الثالثة للهجرة خطب رسول الله ﷺ (زينب) بن خزيمة من بني هلال، وزوّجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي[2]، ومكثت عنده شهرين او ثلاثة، وقيل ثمانية أشهر او أقل وماتت، وصلّى عليها الرسول ﷺ ودفنها في البقيع، وفي السنة السابعة للهجرة في شهر ذي القعدة، تزوّج منهم رسول الله ﷺ (ميمونة) بن الحارث، وزوّجه إياها العباس ابن عبد المطلب، وعاشت ثمانين سنة وقيل إحدى وثمانين سنة، وكانت ميمونة آخر زوجات رسول الله ﷺ ، وآخر من مات من زوجاته. [3]

وفي السنة التاسعة للهجرة، جاءت وفود لرسول الله ﷺ، وكان من بين هذه الوفود، وفد من بني هلال وأتو معلنين إسلامهم، وكانوا حوالي 400 فارس[4]، وطافوا بمكة، وأمرهم رسول الله ﷺ بالنزول في وادي العباس[5]، كما شاركوا بني هلال في الكثير من من الغزوات مع الرسول ﷺ، ومن بين هذه الغزوات غزوة "تبوك" حين دعا نبي الله ﷺ قبيلة بني هلال لهذه المعركة[6]، وكذلك عزوة "حنين" حيث كان جمع بني هلال له له عددا من المقاتلين الجيدين ومن بينهم زيد بن شداد بن معاوية[7]، وكذلك في معركة "القادسية" التي قادها سعد بن أبي الوقاص، وكان من بينهم مقاتلين من بني هلال[8].

نستنتج هنا بأن قبيلة بني هلال كان لها دور تاريخي في الأحداث التي دارت في بداية الفترة الإسلامية، وأن انتساب أمهات المؤمنين إلى بني هلال يعكس عمق علاقتهم بالمجتمع النبوي واندماجهم في العالم الإسلامي منذ بدايته، كما وشاركوا رجالها في مجريات الأحداث التي وقعت في المدينة المنورة، وكانوا جنودا مع رسول الله ﷺ.

---

[1]- ابن هشام عبد المالك، المرجع السابق، ص425.
[2]- إبراهيم إسحاق إبراهيم، **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1992)، ص41.
[3]- ابن سعد الهاشمي، **الطبقات الكبرى**، (تح): محمد عبد القادر عطا، ط2، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990)، ج8، ص111.
[4]- عائشة جاب الله ، المرجع السابق، ص26
[5]- نفسه، ص26.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 371.
[7]- إحسان النص، **القبائل العربية أنسابها وأعلامها**، ط1، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة ، 2000)، ج1، ص362.
[8]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 584

ثانيا: دخول العرب الهلالية إلى المغرب

شهد المغرب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين تحولات عميقة مست مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في ظل بيئة مضطربة نتجت عن تراكم عوامل داخلية وخارجية، وتكتسي دراسة هذه المرحلة أهمية كبيرة لفهم الخلفيات المعقدة التي سبقت دخول القبائل الهلالية، إذ لم تكن هجرتهم حركة عشوائية، بل جاءت نتيجة صراعات مذهبية وسياسية، وانقسامات قبلية، وأزمات اقتصادية واجتماعية شكلت السياق العام لهذه الهجرة الهلالية، وهذا ما نحاول تناوله من خلال:

1- أوضاع المغرب قبل دخول القبائل الهلالية:

أدت سياسات الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري والقرن العاشر الميلادي إلى إضعاف العصبيات القبلية البربرية[1]، مما أسفر عن تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية عميقة، ظهرت بوضوح في عهد الدولة الحمادية، ومهّدت لتغيرات كبرى سبقت دخول العرب الهلاليين، وهذا ما نحاول تناوله من خلال التعرف على الأوضاع السياسية والاجتماعية وكذلك الثقافية لبلاد المغرب قبل دخول القبائل الهلالية إليها.

أ)- أوضاع المغرب السياسية:

شهدت بلاد المغرب، وخاصة المغرب الأوسط، تحولات سياسية عميقة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، قبل دخول القبائل الهلالية إليها، فقد تميزت هذه الفترة بضعف السلطة ببلاد المغرب، وبروز صراعات، وظهور ولاءات متناقضة، ولعل أهم الحدث الذي مثّل بداية هذه التحولات هو رحيل الخليفة الفاطمي "**المعز لدين الله**"[2] إلى مصر سنة (362هـ/973م)[3]، حيث تراجع نفوذ الفاطميين في المغرب، فقد تم تحويل

---

[1]- صليحة رحلي، **"الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط قبيل رحيل الفاطميين إلى مصر حتى قيام الدولة الزيرية"**، مجلة الباحث، 02، (2023)، ص316.

[2]- **المعز لدين الله**: وهو ثالث خلافاء الفاطميين ولد عام (319ه/931م)، وفتحت مصر في عصره، وتوفي عام (365ه/975م). **ينظر**: النويري أحمد عبد الوهاب، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط – إفريقية والمغرب والأندلس صقلية وأقريطش- من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، (تح): مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء، 1985)، ص298.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص57.

مركز الخلافة الفاطمية من المهدية (بتونس) إلى (القاهرة)، وهو ما مثل فراغا سياسيا في المنطقة المغربية، وقد عيّن "المعز" القائد البربري "بلكين بن زيري الصنهاجي"[1] والياً على إفريقية ومنحه صلاحيات واسعة، وقد حكم بلكين "القيروان" ثم توسّع نفوذه ليشمل المغرب الأوسط خلفا للفاطميين، وجاء في قول "ابن خلدون": «...فبعث خلف بلكين بن زيري وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة، وولاه أمر إفريقية ما عدا أصهلية كانت لبني أبي الحسين الكلبي، وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامي وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة...» [2]، وخلال هذه المرحلة، عمل بلكين الصنهاجي على توسيع نفوذه من خلال إخضاع القبائل المنافسة، ومن بينهم قبائل زناتة ذات الولاء السني أو الموالي للأمويين بالأندلس، مما نتج عنه عداء متصاعد بين صنهاجة (الزيريين) وزناة (الزناتيين) وهما من أكبر التكتلات القبلية البربرية في المغرب.

سعى الزيريون إلى توحيد بلاد المغرب تحت سلطتهم، لكنهم واجهوا مقاومة شرسة من الزناتيين المدعومين من الأمويين في الأندلس ضد الفاطميين، مما أدى إلى تفاقم الصراعات السياسية في المنطقة، أسفر ذلك عن ضعف الدولة الزيرية، وتفكك سلطتها بسبب الحركات الانفصالية، وفشلها في السيطرة على القبائل، إضافة إلى النزاعات الداخلية بين أمرائها، مما أدى في النهاية إلى فقدان السيطرة على أطراف الدولة[3].

في ظل هذا التراجع، برز "**المعز بن باديس**"[4] (407–454هـ/1016–1062م) كحاكم للدولة الزيرية، وقد شهدت فترته تطورا سياسيا خطيرا تمثل في إعلانه الانفصال عن الخلافة الفاطمية سنة (440هـ/1048م)، واعترافه رسميا بالخلافة العباسية السنية، فيقول هنا ابن خلدون":« .....وحلف المعز لينقضن طاعتهم وليحولن الدعوة إلى بني عباس»[5]، وكانت هذه الخطوة التي قام بها "المعز بن باديس" مكلفة سياسيًا، إذ أغضبت

---

[1]- **بلكين بن زيري**: هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، من قبيلة صنهاجة، وتولى الحكم في بلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى عام (362ه/973م)، **ينظر**: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص204.

[2]- نفسه، ص206.

[3]- أحمد معمور العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1418 هـ/ 96--97م**، ط1، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996)، ص235.

[4]- **المعز بن باديس**: المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي: من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية. ولد بالمنصورية (من أعمال إفريقية) وولي بعد وفاة أبيه (سنة 406 هـ) وأقره الحاكم الفاطمي (صاحب مصر والمغرب) ولقبه بشرف الدولة، وساد الأمن في أيامه، وبنى بنايات ومساجد أنفق عليها أموالا وافرة، وقرب العلماء وأكرمهم. ونشبت بينه وبين قبائل زناتة حروب انتصر في جميعها. **ينظر**: خير الدين زركلي، **الأعلام**، المرجع السابق، ج7، ص91.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص17.

الفاطميين، وقرروا معاقبتهم بالسماح للقبائل العربية الهلالية باجتياز نهر النيل والعبور إلى بلاد المغرب.[1]

إذا فقد كان دخول قبائل العرب الهلالية إلى المغرب من خلال استراتيجية فاطمية منظمة، من أجل الضغط على "المعز بن باديس"، وكانوا بأعدادًا كبيرة، وقد شكّلت هذه القبائل قوة عسكرية ضخمة، دخلت المنطقة بسرعة وعنف، وهزّت أركان الدولة الزيرية، بعد معارك متواصلة في إفريقية والمغرب الأوسط.

ب)- أوضاع المغرب الاقتصادية:

أشار العديد من الجغرافيين والمؤرخين إلى مدى التقدم والازدهار الذي عرفته بلاد المغرب خلال فترة حكم الأمراء الصنهاجيين، وخاصة في عهد الفاطمي "المعز بن باديس" (454-406هـ / 1016-1062 م)، فقد شهدت الحواضر نمواً ملحوظاً في الصناعات المحلية، حيث أُنتجت سلع راقية مثل الزرابي والمنسوجات المصنوعة من الصوف والحرير والقطن، إلى جانب الأواني الزجاجية، وقد ساهمت عائدات الدولة في هذه الفترة في تنمية الثروة العامة وانتشار مظاهر الرفاهية بين السكان[2]، وفي عهد بني حماد تعددت الصناعات وازدهرت الحرف، فيقول الإدريسي في هذا الشأن: « وبها من الصناعات والصنّاع ما ليس لكثير من البلاد....»[3].

وكان سكان منطقة المغرب الأوسط في هذه الفترة يعتمدون على الفلاحة اعتمادا كبيرا، وكان الانتاج الزراعي يعم بالمغرب الأوسط، فقد كان التنوع الطبيعي والإقليمي لبلاد المغرب ينعكس إيجابا على المردود الفلاحي النباتي وكذلك الحيواني على مر العصور التاريخية للمنطقة المغربية، وهذا ما أظهرت أسواقه التي عرفت رواج أنواع مختلفة، مما جادت به أراضيه من فواكه وخضر، أو فصائله الحيوانية الممتازة[4]، لقد ربط "ابن حوقل" الإنتاج الفلاحي في مختلف مدن وقرى المغرب الأوسط والمناطق الريفية

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص17.
[2]- حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط4، (تونس، الدار التونسية للنشر ، 1968)، ص ص 110،109.
[3]- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودي الحسني الشريف الأدريسي (559ه)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، (القاهرة، مكتبة الثقافية الدينية، 2002م)، ج1، ص260.
[4]- بلبشير عمر، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الفكرية في المغربين الأوسط و الأقصى من خلال كتاب المعيار الونشرسي**، (أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010)، ص179.

المجاورة لها، إذ كانت هذه الحواضر تعتمد على بواديها في الحصول على الغلال والمنتجات الأخرى[1].

كما ساهمت الوفرة الكبيرة للمياه في المغرب الأوسط في التطور الزراعي في المنطقة ونمو بعض النباتات النسيجية التي كانت تصدر إلى المشرق وغيرها، إضافة إلى زراعة القمح التي كانت تشغل الجزء الكبير من الأراضي الخصبة، وقد أولت الدولة الفاطمية اهتماما كبيرا لإنتاج أنواع كثيرة ومختلفة من الفواكه[2]، وكانت لها إدارة خاصة تشرف على أمور الزراعة، وكان تصدير هذه المنتوجات إلى أوروبا وجزيرة العرب عن طريق مصر، ومن بين أهم هذه المنتوجات الفلفل والتوابل ونبات الكتّان، لذا فقد كان المغرب مكتفيا من الناحية الفلاحية وهذا يرجع للظروف المناخية والجغرافية للمنطقة. [3]

وبالنسبة للنشاط التجاري للمنطقة، فقد عرف المغرب خلال هذه الفترة تطورا ملحوظا في الجانب والتجاري، فكانت مدينة أشير[4] تتميّز بمركز يتوسط المغرب الأوسط في جبال التّيطري، وكل هذا راجع للمسالك والطرق التجارية المتصلة بها من مختلف الجهات، مما ساعد في تطور اقتصاد وتجارة المغرب الأوسط[5]، وكان هذا المكان، مكان اتصال وانتقال الناس فيه، وتتصل المنطقة بالعديد من المدن منها المدية وتنس وسوق حمزة ومليانة وبني مزغنة ومرسى الحاج...، إضافة إلى ذلك اتصالها بقلعة بني حماد وجنوب الصحراء والسودان، وهذا جعل منها مركز تجاريا ونقطة اتصال الناس والقوافل التجارية[6].

التجارية[6].

وساهم إرسال "المعز بن باديس" لجيشه نحو مصر إلى تعزيز الروابط التجارية مع المشرق العربي ولا سيما مصر، في فتح العمليات التجارية وتنشيط حركة القوافل، حيث توافد أعداد كبيرة من البربر إلى منطقة الإسكندرية ومحيطها، إلى جانب تنظيم المسالك البرية المؤدية إلى مصر، مما سهل المبادلات التجارية ونقل البضائع المنطقة[7]، وهذا ما

---

[1]- أبو القاسم محمد ابن الحوقل (367ه)، **صورة الأرض**، (القاهرة، شركة نوابع الفكر، 2009)، ص76.
[2]- محمد جمال الدين سرور (487ه)، **تاريخ الدولة الفاطمية**، (القاهرة، دار الفكر العربي)، ص136.
[3]- نفسه، ص138.
[4]- **أشير**: منطقة تقع في جبال البربر في بلاد المغرب في طرف أفريقيا الغربي، مقابل بجاية. **ينظر**: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص202.
[5]- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (487ه)، **المسالك والممالك**، (دار الغرب الإسلامي، 1992)، ج2، ص730.
[6]- نفسه، ص737.
[7]- عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد، صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ط2، (القاهرةن، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1991)، ص228.

عبر عنه "ابن خلدون"، حيث حدّثنا بقوله: « واستمر ملك المعز بإفريقية والقيروان، وكان أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية وأترفه وأبذخه.....»[1].

ت)- أوضاع المغرب الاجتماعية:

في نهاية القرن الثالث هجري انطلقت حركة جديدة ونشطة في بلاد المغرب، تمثلت في نشر الشيعة والإسماعيلية في مختلف أقطار العالم الإسلامي، بدأ هذا العهد بمبايعة "عبيد الله المهدي" (297 -322هـ/ 909-934 م) ومباركة قبيلة كتامة له، والتي ساهمت في قيام الدولة الفاطمية بالمغرب، كانت المنطقة تحوي قبائل صنهاجة وزناتة بربرية أخرى[2]، وبعض المجتمعات العربية والنصرانية واليهودية في المدن الكبرى، وكانت القيروان أكبر المدن ومدخل الحكم، ثم أسس المهدي الفاطمي مدينة "المهدية"[3] (303هـ/915م) وجعلها مقرًّا للخلافة، وكان المذهب الرسمي للدولة الفاطمية شيعيا إسماعيليا، إذ كان الحاكم يُعتبر إماما معصوما من نسل علي وفاطمة، ومع ذلك ظلّ سكان المغرب الأوسط في الغالب من أهل السنة، استخدم الفاطميون المساجد قواعد لنشر مذهبهم الشيعي، وشهدت مساجد القيروان مناظرات فقهية بين دعاة الشيعة وعلماء المالكيين، وبعد استقرار الدولة الفاطمية بأفريقية والمغرب شهدت المنطقة صراع بين أهل السنة والشيعة[4].

وعرفت منطقة المغرب خلال العهد الفاطمي كغيره من المجتمعات الاخرى اختلافا في طبقاته الاجتماعية، فكانت طبقة الخلفاء ورجال الدولة هي الأسرة الحاكمة في المجتمع الفاطمي بالمغرب وهي أعلى هرم في المجتمع لها سلطة مطلقة وتتميز بالثراء والنفوذ القوي، وكان على رأسها أسرة الخليفة الفاطمي "عبيد الله المهدي" عندما دخل بلاد المغرب على أنه الحاكم، وبدأ أخذ الأموال التي كانت بحوزة دعاته ورؤساء القبائل واستولى عليها[5]، ثم تليها طبقة الجند، فقد نظّم "عبيد الله" مجتمعه الجديد وقسّم كتامة

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص210.
[2]- نفسه، ج4، ص ص 37-38.
[3]- **المهدية**: مدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي، وبينها وبين القيروان مرحلتان والقيروان في جنوبيها، **ينظر**: المصدر نفسه، ج5، ص233.
[4]- ابن حماد الصنهاجي (627ه)، **أخبار ملوك بني عبيد**، (تح): نشيدة سليماني، (الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، 1979)، ص159.
[5]- ابن عذاري المراكشي ، **البيان**، المصدر السابق ، ص50.

أسباعا، وجعل كل سبع منها عسكرا[1]، وتكون جيشه من عناصر كتامية، صنهاجية، عناصر صقلية ورومانية وأخرى سودانية، كما اهتم "عبيد الله" طبقة التجار ووفر لهذه الطبقة الأمن ومكانة اجتماعية خاصة مميزة في المغرب[2].

أما بالنسبة للطبقة العامة، فتمثلها أفرادها من الناس، وتصنيفها أسفل الهرم الاجتماعي في المغرب، وهي تشمل جميع فئات المجتمع والتي تتكون من الفلاحين والزراعين وأصحاب المهن البسيطة والصناعات وصغار التجار، والعاطلين عن العمل، وكانت أحوالهم مع السلطة الحاكمة سيئة في القيروان، نتيجة السياسة الجبائية الثقيلة التي اثبتها أمراء الدولة الفاطمية ضد ملاك الأراضي والتجار والفلاحين، وأدت هذه الأحوال في هذه الفترة إلى انتشار الفوضى في جميع أنحاء البلاد وانشر الفساد. [3]

وعند تولّي "المعز بن باديس" حكم إفريقية بصفتها إمارة وزارية لفاطمية القيروان، كان المعز من صنهاجة ورغم تفرّد أسرته، أعاد تقريب القرابة الصنهاجية مع فرعها الغربي لبني حماد، حيث تصالح معهم عام (408هـ/1017م) [4]، ظلّت القبائل الصنهاجية والزناتية الفاعل الأكبر في البلاد، مع وجود قبائل عربية متنقلة في السهول، وأهمُّ المدن بقيت القيروان مركزا سياسيا وثقافيا، ثم أسّس المعز مدينة للرباط قرب المهدية (449هـ-1057م) كما شهد عهد المعز انقلابًا مذهبيًا، فقد أعلن فسخا تاما مع الفاطميين، فألغى المذهب الشيعي وأعلن الولاء لأهل السنة والخلفاء العباسيين، وبات المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة الزيرية[5].

لقد أعاد توحيد المجتمع المغاربي دينيا وفتح الطريق لعلاقات جديدة مع دوائر العلم المالكي في بغداد والأندلس، كما ضمن المعز الاستقرار بعقد التحالف مع بني حماد[6]، وأدى إعلان المعز القطيعة للعلاقات بينه وبين الدولة الفاطمية غضب الخليفة الفاطمي[7]، الفاطمي[7]، وكعقوبة على ذلك، حرض قبائل بني هلال وسليم لدخول أفريقية، مما مهد

---

[1]- القاضي نعمان (363ه)، **افتتاح الدعوة**، (تح): فرحات الدشراوي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع)، ص ص 124، 125.
[2]- ابن عذاري، **البيان**، ج1، ص150.
[3]- نفسه، ص131.
[4]- عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبني زيري**، (القاهرة، منشأة المعارف، 1990)، ج3، ص ص278-279.
[5]- نفسه، ص279.
[6]- عز الدين أبي الحسن ابن الأثير (630ه)، **الكامل في التاريخ**، (تح): عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1997)، ج8، ص200.
[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص16.

موجة الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب منتصف القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي[1].

نستخلص من هذا، بأن بلاد المغرب كانت قبل دخول عرب بني هلال تعاني من ضعف سياسي وصراعات داخلية رغم ازدهاره الاقتصادي، إلى جانب توتر مذهبي شيعي سنّي، مما مهد الطريق لدخول القبائل الهلالية بتحريض من الفاطميين كعقوبة لمعز بن باديس على افنصاله عن دولته الفاطمية واعترافه بالخلافة العباسية السنية.

2/- انتشارهم ومناطق تمركزهم:

شهد المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس هجري الموافق للحادي عشر الميلادي (5هـ/11م) حدثا مهما، شكّل منعطفا حاسما في تاريخه، وهذا الحدث هو اكتساح قبائل عربب بني هلال للمجال المغربي، أو كما تعرف بالهجرات الهلالية، ويعد هذا الحدث بداية تحول في المنطقة، وأثر هذا الحدث على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية وكذلك الإجتماعية والدينية، وكما ذكرنا سالفا أجمعت معظم المصادر أن سبب اكتساح هذه القبائل للمغرب هو خطة فاطمية انتقاما من الأمير "المعز ابن باديس" الصنهاجي، والذي أعلن القطيعة السياسية والدينية مع الدولة الفاطمية في مصر[2]، فقرر الخليفة الفاطمي إرسال تلك القبائل إلى المغرب كعقوبة للمعز ابن باديس، إضافة إلى ذلك التخلص من عبث هذه القبائل في مصر، حيث كانت مصدر إزعاج للسلطة الفاطمية من خلال خلقها للعديد من المشاكل والاضطرابات في المنطقة[3].

أ)- بداية هجرتهم الأولى لبلاد المغرب الإسلامي:

لما أجاز لهم الخليفة الفاطمي عبور النيل غربا اتجاه إفريقيا، وأول ما دخلوه جموع العرب الهلالية هو أرض "برقة"[4] ، فوجدوها كثيرة المرعى خالية من الأهل، واستوطنوا بها[5]، يقول ابن خلدون فيك كتابه "العبر": «فطمعت العرب إذ ذاك، وأجازوا النيل إلى

---

[1]- ابن عذاري ، **البيان، ج1**، ص288.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص16.
[3]- نفسه، ص17.
[4]- **برقة**: هي مكان كبير يشمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وبلاد المغرب، واسم مدينتها انطابلس، يحيط بها البربر من كل جانب. **ينظر**: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 389،388.
[5]- أبوضيف مصطفى أحمد عمر، **أثر القبائل العربية ببلاد المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجماعية، 1982)، ص58.

برقة، ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها.....»[1]، وقبل دخولهم "برقة" كان "المعز" قد أباد سكانها من زناتة، لهذا السبب دخلوها العرب الهلالية ولم يهتم المعز لأمرهم، وبقوا فيها فترة من الزمن، وفي هذه الفترة أرسل بني هلال لإخوانهم وبنو عمومتهم "بنو سليم"[2] في شرق النيل يرغبونهم في البلاد، فأجاز لهم الخليفة الفاطمي بعدما أخذ من كل رأس دينارين، أي ضعف ما أعاطاه لبني هلال، يقول ابن خلدون: «كتبوا لإخوانهم شرقي النيل يرغبونهم. في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه، وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق، ولهلال الغرب.....»[3].

وبعد وصول بطون "بنو سليم" إلى برقة استقروا بها[4]، وواصل بطون بني هلال مسيرتهم إلى أفريقية، فوصلوا إلى طرابلس سنة (446هـ/1054م)، واستولوا عليها، وبقي منهم في طرابلس "بنو زغبة" أما "رياح" و"الأثبج" واصلوا هجرتهم إلى أفريقية[5].

ب)- انتشار العرب الهلالية بالمغرب الأدنى:

بعد عبور بني هلال منطقة "برقة" عملوا فيها الفساد، فوصفهم ابن خلدون كالجراد المنتشر، وهذا حسب قوله: «وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وكان أول من وصل إليهم أمير رياح موسى....» [6]، ويبدوا من خلال قول "ابن خلدون" بأن وصول القبائل الهلالية لأفريقية كان سنة 443هـ الموافق للسنة الميلادية 1052م.

بسبب فساد العرب الهلاليين، تدهورت القرى والضواحي بالمنطقة المغاربية، واضطر المعز بن باديس إلى محاربتهم، وكانت الغلبة دائمًا للقبائل الهلالية بفضل قوتهم القتالية، وقد وصفت معاركهم مع المعز بالكوارث الكبرى التي أصابت "القيروان"، وكانت أول معاركهم مع "المعز" في موقعة "العين" في منطقة جبلية وعرة، وتمكن الهلاليون من

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص18.
[2]- **بنو سليم**: "هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وفيهم شعوب كثيرة ورياستهم في الجاهلية لبني الشريد ابن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم، وعمرو بن الشريد عظيم مضر، وكانت مواطنهم الأولى في الجاهلية وصدر الإسلام بعالية نجد، ثم دخلوا المغرب بعدما تمكنوا اخوتهم بني هلال الاستلاء على الحوائض والبداوي بالمغرب. **ينظر**: نفسه، ص83.
[3]- نفسه، ص18.
[4]- نفسه، ص 18.
[5]- نفسه، ص 27.
[6]- نفسه، ص18.

هزيمته وقتل العديد من جيش المعز، وفي هذه الحادثة غنم الهلاليون الذهب ولافضة والأمتعة وغيرها، كما أخذو الكثير من الصنهاجيين أسرى لديهم،[1] وبعد هذه الهزيمة التي لحقت "المعز ابن بدايس"، قرر أن يثأر ويهاجمهم، فاستنجد بقبائل زناتة لمواجهة الهلاليين، كما جمع المعز جيشا ضخما من زناتة والبربر وبقايا عرب الفتح بلغ نحو 30 ألف مقاتل[2]، وتقابلا بجبل يعرف بجبل "حيدران"، لكن عند المواجهة، انحاز عرب الفتح إلى الهلاليين بدافع العصبية القديمة، وخانته زناتة وصنهاجة، فانهزم المعز وفر إلى "القيروان"، أما العرب فاستولوا على كل ما تركه من مال ومتاع وذخيرة، ويقال إن قتلى صنهاجة وحدهم بلغوا أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمائة[3].

وبعد حصار العرب الهلالية "القيروان" انتقل المعز صوب المهدية، وبقي بني هلال بالقيروان ينعمون بخيراتها وعاشوا محاسنها من مال ومباني وعمران، واقتسمت عرب بني هلال بلاد المغرب، فكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرادس بن رياح باجة وما يليها، ثم تم اقتسام البلاد مرة ثانية، فكان لهلال "تونس" إلى قابس إلى طرابلس الغرب، وهم عرب رياح وزغبة، وجشم وقرّة، والأثبج والخلط وسفيان[4].

ت)- انتشار العرب الهلالية بالمغرب الأوسط:

لم يقتصر دور الخلافة الفاطمية على السماح للعرب الهلالية باجتياز نهر النيل والتوجه غربا وفقط، بل عملت على تأطيرهم ودعمهم، ومنح الفاطميون قبائل العرب حق امتلاك المغرب وأفريقية، وحرص الخليفة الفاطمي على تقسيم بلاد المغرب ومدنها، باعتبارها تابعة للمتمرد على حكومتهم وسلطتهم "المعز بن باديس" ، وعندما بعث الخليفة الفاطمي هذه القبائل إلى بلاد المغرب، عقد لرجالاتهم على أمصارها وثغورها، وقلّدهم أعمالها[5]، وهو ما كان ذا أهمية كبيرة بالنسبة لهؤلاء المهاجرين، وعند وصولهم إلى بلاد المغرب، نادوا بشعار الخليفة "المستنصر الفاطمي"، وكان شيوخهم يحملون معهم ظهائر ووثائق الملكية التي منحت لهم بمصر، فيقول ابن خلدون في هذا: «وقال لهم :قد

[1]- ابن عذاري ، **البيان**، ج1، ص290.
[2]- نفسه، ص18.
[3]- نفسه، ص18.
[4]- نفسه، ص 19.
[5]- نفسه، ص24.

أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين، الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون وكتب اليـاروزي إلـى المغـرب: أمـا بعـد فقـد أنفـذنا إلـيكم خيـولا فحـولا، وأرسـلنا عليهـا رجـالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا....»[1].

ويظهر ذلك بعد تمكنهم من السيطرة على بلاد بني زيري، وبسط نفوذهم على مناطق شاسعة من إفريقية، التي شكلت المرحلة الأولى من مسار الهجرة الهلالية[2]، وواصلت بطون وقبائل العرب الهلالية زحفها غربا باتجاه المغرب الأوسط، وأدت ظروف الأحداث العسكرية والسياسية إلى تهيئة ظروف انتشار القبائل الهلالية، ومكنها من بسط نفوذها على مجال جغرافي واسع من المغرب الأوسط، وقد شمل هذا الانتشار في بدايته الجهات الشرقية ومنطقة الزاب[3]، وقد اجتازت قبائل وبطون من العرب الهلالية ضواحي ومجالات واسعة من المغرب الأوسط، وأصبح لكل قبلية منها حيز جغرافي، حسب قوة كل قبيلة هلالية، وكذلك بحسب علاقاتها مع الدولة الحمادية، فكان انتشارها وتمركزها في المغرب الأوسط على النحو التالي:

- **انتشار بطون قبائل الأثبج في المغرب:** تُعد قبيلة الأثبج من أكبر قبائل بني هلال عددا، وأكثرها بطونا وتشبعا، وقد حازت مكانة متقدمة ورئاسة بين القبائل عند دخولها إلى بلاد المغرب[4]، وقد أدى ذلك إلى اندماج عدد كبير من القبائل العربية تحت لواء بني هلال، وخاصة تحت راية قبائل الأثبج، دخلت الأثبج إلى المغرب الأوسط من جهة مدينة **(قفصة)** [5] ، واستقروا في نواحي "بسكرة"، "طبنة"، و"المسيلة"[6]، وامتد وجودهم حتى "قلعة بني حماد"[7]، وقد تعزز نفوذهم في المنطقة بشكل ملحوظ بعدما فضّلهم الحماديون بتحالف خاص دون غيرهم من القبائل العربية، فأنزلوهم في "الزاب" ومنحوهم الإقطاعات في كثير من مناطقه[8].

---

[1]- ابن عذاري ، **البيان**، ج1، ص17.
[2]- محي الدين عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (شرح): صلاح الدين الهواري، ط1، (بيروت، المكتبة العصرية، 2006)، ص166.
[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص30.
[4]- نفسه، ص27.
[5]- **قفصة**: مدينة صغيرة في طرف إفريقيا، مدينة حصينة تبعد عن القيروان ثلاثة أيام ، **ينظر**: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص382.
[6]- نفسه، ص 32.
[7]- محمد الطمار، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010)، ص116.
[8]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص62.

وعمومًا، تمركزت مواطن الأثبج قرب جبال "الأوراس" من جهتها الشرقية، أي في مناطق مثل قسنطينة، الزاب، والحضنة، أما قبيلة "دريد"، فقد انتشرت في المنطقة الممتدة من بلد "العناب" إلى "قسنطينة" و"طارف مصقلة"[1]، بالإضافة إلى المناطق القريبة من الصحراء. وبهذا، استحوذت على واحد من أكثر المجالات خصوبة، ويمتد من "عنابة" حتى "جنوب قسنطينة"[2]، في المقابل، ومن بطون الأثبج الأخرى "الضحاك" و"لطيف" تجمعت في منطقة "الزاب" خلال فترة "بني حماد"، بينما امتدت "كرفة" في الجهة الشرقي من جبال "الأوراس" إلى "زاب تهودة"[3]، وتوغلت نجعتهم حتى مناطق "القفار" و"الصحراء"، و"الصحراء"، أما بطون "عياض"، فقد استقرت في جبل "قلعة بني حماد"، من جهة المشرق إلى جهة المغرب. [4]

- **توزيع قبيلة الجشم في المغرب:** استقرت قبيلة "جشم"، وهي من بطون بني هلال، أساسا في منطقة "تامسنا"[5] بالمغرب الأقصى[6]، إلا أن حضورها في المغرب الأوسط الأوسط كان خلال الامتداد الجغرافي والعسكري والسياسي لبعض بطونها في فترات الاضطراب التي عرفتها المنطقة خلال العهدين الموحدي والمريني، وشاركت جشم وبطونها في الفتن الكبرى ضد الموحدين، مما أدى إلى تحركات مستمرة نحو الشرق، وقد كان لبعض فروع جشم استقرار في "بسيط تامسنا"، غير أن العديد من أحيائهم امتد نحو المغرب الأوسط، لا سيما في محيط "تلمسان" و"السوس" وضواحي "مراكش"[7]، ومن بينهم تواجد فروع "الحرث" و"الكلابية" من جشم، وشاركت بطون جشم مثل الخلط وسفيان في الحروب التي دارت بين بني مرين وبني عبد الواد في تلمسان، بل لجأ بعض زعمائهم إلى تلمسان فرارا من الاضطرابات أو طلبا للتحالف، ما يعكس تغلغلهم في المجال السياسي للمغرب الأوسط، كذلك فإن "بني جابر" من

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص28.

[2]- محمد حسن، **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، (تونس، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999)، ج1، ص99.

[3]- **تهودة**: هي من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وعليها سور عظيم ونهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس. **ينظر**: مؤلف مجهول، **الاستبصار الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، (تع): سعد زغلول عبد الحميد، ط2، (العراق، دار شؤون الثقافة العامة، 1985)، ص174.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص29.

[5]- **تامسنا**: مكان ممتد على طول الساحل الأطلنطي ما بين وادي أبو الرقاق الربوة حوج شمالا، ووادي أم الربيع جنوبا، وهي غنية بالمياه ومعزولة عن بقية بلاد المغرب، **ينظر**: زغلول سعد عب الحميد، المرجع السابق، ج4، ص218.

[6]- نفسه، ص33.

[7]- نفسه، ص 35.

جشم سكنوا سفوح جبل تادلا[1]، وهي منطقة حدودية بين المغرب الأقصى والأوسط، وكانوا يتحالفون مع قبائل بربرية مثل "صناكة"[2]، وينتقلون بين الجبل والسهل تبعًا للظروف السياسية، ما جعل حضورهم في المغرب الأوسط شبه دائم خلال القرنين السابع والثامن الهجريين[3].

- **انتشار قبائل رياح في المغرب:** انتشرت قبيلة "رياح" في عدة مناطق من المغرب الأوسط، وكانت لهم سيطرة ونفوذ في مجالات واسعة[4]، فقد استقروا بداية في "القيروان" وبلاد "قسطيلة"، حيث كانت لهم تحركات كثيرة قبل أن تتوسع مجالاتهم نحو المناطق الأخرى، ففي الشمال الشرقي، استقروا في ضواحي "قسنطينة" و"بجاية"[5]، وكان لهم فيها نفوذ قوي، خصوصا في الأرياف والمناطق الجبلية المحيطة، كما امتدت تحركاتهم إلى مجالات "الزاب"، التي تمثل واحدة من أهم مراكز استقرارهم، ففي "الجانب الغربي" من الزاب، التي قاعدته "طولقة"[6]، كان تحت سيطرة أولاد محمد وأولاد سباع بن يحيى بطون من رياح[7].

و"الجانب الأوسط" من الزاب، وقاعدته بسكرة، كان ضمن مجالات "أولاد محمد"[8]، وتمتع فيه بعض زعماء رياح بعزة وسلطان، أما "الجانب الشرقي" من الزاب، الزاب، وقاعدته "بادس" و"تنومة"[9]، رغم أنه ليس ضمن مجالات "رياح"، إلا أن لهم فيه نفوذ جزئي في المنطقة.

كما وامتدت سيطرتهم إلى بلاد "القبلة" الواقعة جنوب الزاب، وكان لهم فيها ظعن وتنقل واسع، تغلبت "رياح" على قبائل "جبل أوراس"[10]، واستقروا في نواحيه، ثم

---

[1]- **تادلا**: يعرف هذا الإقليم قديما باسم فازاز، يبدأ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع، وينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع. **ينظر**: الحسن بن محمد الوزان (957ه)، **وصف إفريقيا**، (تر): محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983)، ج1، ص176.

[2]- قبائل صناكة أو صنهاجة أو زناكة (إيزناكن) ، تنتمي إلى جماعة البرانس، إلى جانب أخواتها مصمودة و أوريغة (هوارة) و أوربة و ازداجة وعجيسة العلوي . **ينظر**: مولاي التقي، **أصول المغاربة**، (الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2016)، ص 50 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص38.

[3]- نفسه، ص41.

[4]- نفسه، ص41.

[5]- نفسه، ص 42.

[6]- **طولقة**: منطقة من بلاد الزاب بجوفي بنطيوس، وهي ثلاث مدن كلها أسوار وخنادق. **ينظر**: محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (تح): إحسان عباس، ط2، (بيروت، مكتبة لبنان، 1984)، ص401.

[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 42.

[8]- نفسه، ص 42.

[9]- نفسه، ص 42.

[10]- نفسه، ص42-43.

توسعوا لاحقا إلى البسيط الغربي من "جبل أوراس"، وتوزعوا على مدن "نقاوس"، "مقرة"، و"المسيلة"[1]، وقد تحولت هذه المناطق إلى أقطاعات خاصة بفروع من بطونهم.

- **انتشار قبائل زغبة في المغرب:** تنتمي هذه القبيلة إلى القبائل الهلالية، وتتفرع إلى خمسة بطون رئيسية: "يزيد"، "حصين"، "عامر"، "مالك"، و"عروة"، استقر الزغبيون في بداية الأمر بمناطق "طرابلس" و"قابس"[2]، غير أن إخوتهم من قبيلة "رياح" قامت بطردهم من إفريقية سنة (446هـ/1073م)، فاضطروا إلى التوجه نحو المغرب الأوسط، حيث دخلوا في خدمة الدولة الحمادية، ورافقوا في هجرتهم قبيلة "المعقل"[3]، فظهرت جماعاتهم في جنوبي المغرب الأوسط، وتوزعوا عند وصولهم بين منطقتي "صدراتة"[4] و"الأغواط".

ثم اتجهت بعض بطون "زغبة" نحو الشمال، واستقروا في "متيجة"[5] وتفرّقوا في نواحيها[6]، في حين فضلت بطون أخرى التوجه نحو الصحراء، فامتدت مجالاتهم من "المسيلة" إلى جنوب "تلمسان" في منطقة "الصحراء والقفار"[7].

- **توزيع بطون قبيلة المعقل:** كان دخول قبيلة "المعقل" إلى بلاد المغرب الأوسط، في عدد قليل لا يتجاوز المئتين، وقد تحيزوا منذ البداية إلى صفوف القبائل الهلالية، ما يدل على نوع من التحالف والتبعية القبلية ضمن البنية الهلالية، وقد دخلوا ضمن الموجة الأولى من الهجرة الهلالية أو بعدها مباشرة[8]، لكن قلّة عددهم حالت دون تقدمهم نحو قلب بلاد البربر في الأطلس أو المناطق الجبلية الداخلية، فاقتصر انتشارهم على أطراف الصحراء في الحدود بين إفريقية (تونس) والمغرب الأوسط، وقد توزعت مواطن "المعقل" بالمغرب الأوسط إلى قسمين:

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 41.
[2]- نفسه ، ص49.
[3]- نفسه، ص51.
[4]- **صدراته**: صدراته أو سدراته، تقع على بعد ستة كيلومترات من إقليم بني ورجلان، تأسست بعد الفتح الإسلامي، والتي كانت تعرف عند البربر بإسدراتن ذات المدينة العظيمة. **ينظر**: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط2، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965)، ج1، ص234.
[5]- **متيجة**: هي مدينة قديمة، بنتها قبيلة بني مزغنة، وهي كبيرة، بهما أربعة آلاف كانون (موقد) لها أسوار وديار جميلة، وأسواق منظمة. **ينظر**: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص130-136.
[6]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص116.
[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص54.
[8]- نفسه، ص69.

– **الثعالبة (إخوة المعقل):** اتجهوا إلى المنطقة التلية الشمالية من المغرب الأوسط، فنزلوا في البداية بين منطقتي "تيطري" و"المدية"، ثم أزاحتهم عنها قبائل "توجين"[1] الزناتية، فانسحبوا نحو سهل "متيجة".[2]

– **أما بطون (المعقل):** وهم ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان، فاستقروا منذ البداية جنوبا إلى الصحراء، وجاوروا قبائل زناتة جنوب تلمسان، بين الأطلس والصحراء، وتوسعت نجعتهم فيما بعد إلى عمق الصحراء حتى بلغوا سجلماسة وصحراء المغرب الأقصى.[3]

وكنتيجة لهذا يمكن القول بأن انتشار بطون القبائل الهلالية وتوزعها في المغرب الأوسط، كان في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، بالمناطق الممتدة من بونة إلى قسنطينة وميلة والزاب وطبنة والمسيلة وقلعة بني حماد والأوراس وبسكرة، لتمتد خلال القرن 6هـ/12م نحو الجهة الغربية من المغرب الأوسط، بمنطقة زناتة بتاهرت وجنوب وهران وتلمسان.

في نهاية هذا الفصل اتضح لنا أن هذ القبائل العربية الهلالية لم تكن مجرد جماعات بدوية، بل قوة حضارية فاعلة امتدت جذورها إلى بدايات الإسلام، وشاركت في أحداثه الأولى، وقد جاء دخولها إلى المغرب الإسلامي في إطار سياسي منظم بتحريض الفاطميين ضد المعز بن باديس، مما أدى إلى سقوط الدولة الزيرية وتغير موازين القوى، ساعد ضعف الوضع الداخلي والصراعات القائمة على نجاح هذه الهجرة التي انطلقت سنة 443هـ/1052م، لتتوسع تدريجيًا في المغرب الأوسط خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة ، حيث كان لها أثر عميق في تشكيل البنية القبلية والسياسية للمنطقة.

[1]- **قبائل توجين**: هي إحدى القبائل الزناتية التي سكنت المغرب، وكانت مواطنهم الأولى جنوب الونشريس إلى غاية نهر واصل، ثم أصبحت بين جبل دراك وبين مواطن بني راشد، وهم أحد بطون بني بادين بن محمد بن واسين بن الديرت بن جانا بن زناتة. **ينظر**: ابن حزم، المصدر السابق، ص ص 495-498.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص73.

[3]- نفسه، ص ص 81-82.

الفصل الثاني

التعريف بابن خلدون ونظرته للهلاليين بالمغرب الأوسط

يُعدّ عبد الرحمن بن خلدون من أبرز مفكري الحضارة الإسلامية، فقد اجتهد في ممارسة العلم، مستفيدًا من بيئة علمية وسياسية غنية وتجارب متنوعة في الحواضر الإسلامية. تميز برؤيته التحليلية للتاريخ والظواهر الاجتماعية، فانتقل من السرد التقليدي إلى التفسير والتعليل، مؤسسًا منهجًا علميًا يقوم على فحص الروايات وتحليل أسباب الوقائع وسياقاتها. هذا ما جعله رائدًا في منهجية كتابة التاريخ ونقده.

فمن هو ابن خلدون، وكيف نظر إلى التاريخ؟ وما طبيعة منهجه في كتابته، وما الذي ميّز رؤيته النقدية عن غيره من المؤرخين؟ وكيف نظر وحلل التواجد الهلالي بالمغرب الأوسط؟.

أولا: التعريف بابن خلدون ومنهجه التاريخي:

1 -/نسب ابن خلدون ونشأته:

إن التعرف على نسب عبد الرحمن ابن خلدون ونشأته يعد أمر ضروري لفهم آثاره فهما عميقا وشاملا، كما أن الاطلاع على حياته الشخصية وظروف عصره يتيح لنا استيعاب خلفيات فكره وكذلك معرفة رؤاه ومصادره، وانطلاقا من هذه الأهمية، سنحاول هنا الوقوف على نسب ابن خلدون وأصوله، واستعراض ملامح نشأته.

أ)- اسمه ونسبه:

يرجع نسب عبد الرحمن ابن خلدون إلى عرب اليمن في حضرموت[1] -شبه الجزيرة العربية- ونسبها في الإسلام يعود إلى "وائل بن حجر"، وقد عرّف ابن خلدون نفسه وعن امتداد نسله في كتاب «**العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**»، يقول عن نفسه: "عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون"[2].

[1]- **حضرموت**: هي منطقة تاريخية وجغرافية تقع في جنوب اليمن وهي مجموعة من القبائل. **ينظر**: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626ه)، **معجم البلدان**، (بيروت، دار الأحياء، 1979م)، ج2، ص 270.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون (ت808ه)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: محمد علي بيضون، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، ج7، ص451.

وذكر ابن الحزم أصل بنو حضرموت –بنو خلدون الإشبيليون–، حيث يقول في كتابه «**جمهرة أنساب العرب**» : "هو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي ..."[1].

وكنيّته أبو زيد على اسم ابنه الأكبر وذلك على ما جرت عليه عادة العرب في الكنية، ولُقب كذلك بولي الدّين، وهذا بعد تولّيه وظيفة القضاء في مصر[2]، وابن خلدون هو أحد العلماء الذين تركوا آراءا على سيرته، وهذا بتأليفه كتب ترك فيها كل تفاصيل حياته، أما عن أسرته فقد حظيت بمكانة رفيعة لدى الدولة الحفصية، فتولى أجداده مناصب سياسية مهمة، بينما اصرف والده إلى النشاط العلمي، فاهتم بالفقه المالكي والمنطق والفلسفة، وجعل من مجلسه ملتقى لعلماء وأدباء تونس، وقد عرفت الأسرة بإسمهاماتها العلمية قبل برز ابن خلدون الذي فقد والده في طفولته[3].

ب)– مولده ونشأته:

ولد عبد الرحمان ابن خلدون بمدينة تونس في اليوم الأول من رمضان عام (732هـ/1332)، وهذا ما جاء على لسان ابن خلدون، حيث نوجز منها: "أما نشأتي فإني وُلدت بتونس في غرّة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيتُّ في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصاري[4]...."[5].

نشأ ابن خلدون في أسرة عريقة في مجالي العلم والسياسة، وذلك ساعده على محبته للعلم وإقباله عليه، كان والد عبد الرحمن بن خلدون من علماء عصره، عرف بكونه فقيها ومفتيا للديار التونسية، إلى جانب براعته في اللغة والشعر، وقد أولى ابنه عناية خاصة في تربيته وتعليمه، فحرص على أن يحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى ابن خلدون علومه على يد نخبة من كبار المشايخ في المغرب، حيث تنوعت مشاربهم بين

---

[1]- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت384ه)، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، (مصر، دار المعارف، 1982)، ص460.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص628.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص460.

[4]- **الأنصراني**: هو عبد الله محمد بن سعد بن برّال الأنصاري، إمام في القراءات من مدينة بلنسية. **ينظر**: نفسه، ص457.

[5]- نفسه، ص 457.

العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، حيث يقول ابن خلدون: "وأخذت الفقه بتونس عن جماعتي، .....، وقرأت كتاب التهذيب لأبي سعد البرداعي، مختصر المدونة، وكتاب المالكية وتفقهت عليه...."[1].

وبالنسبة للعلوم العقلية، فكان شيخه أبو عبد الله محمد إبراهيم الآيلي[2]، وشمل ذلك، المنطق، والعلوم الرياضية، العلوم الطبيعية والفلكية[3].

ونستنتج هنا بأن العلاّمة "ابن خلدون" نشأ في أسرة عريقة علميا وسياسيا وكان لها دور بارز في الحياة السياسية والعلمية بالأندلس وتونس، تلقى علومه منذ صغره على يد والده وكبار علماء عصره، مما أكسبه تجربة واسعة وعمقا فكريا فريدا.

2/- حياته العلمية والعملية:

تميز العلاّمة " ابن خلدون" بحياة علمية غنية ومسار عملي حافل بالتجارب المتنوعة، فقد بدأ رحلته العلمية في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم الشرعية واللغوية والمنطق والفلسفة على يد أبرز العلماء والمشايخ، وكان والده أول من وجّهه إلى طلب العلم، ثم تابع دراسته في بجاية وفاس وغرناطة[4]، حيث انفتح على مختلف التيارات الفكرية والفقهية، واطّلع على العلوم العقلية والنقلية، مما أهّله لأن يصبح أحد أبرز مفكري عصره.

لقد قسّم العلاماء حياة العلامة عبد الرحمن ابن خلدون إلى أربع مراحل رئيسية، تمثّل كل مرحلة محطة مهمة في مسيرته العلمية والسياسية[5]، ويمكن تلخيصها على النحو النحو التالي:

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 458.

[2]- **الآيلي**: العلاّمة أبو عبد الله ابراهيم الآيلي، من تلمسان عالم بالعلوم العقلية. **ينظر**: نفسه، ص465.

[3]- نفسه، ص 459.

[4]- علي أجقو، **"اسهامات العلامة عبد الرحمان بن خلدون في التأسيس لمنهج البحث التاريخي"**، مجلة تجسير للبحوث والدراسات، 02، (2021)، ص 11.

[5]- عبد الحق حميّش، **"الفكر الاقتصادي عند العلامة ابن خلدون مقارنا مع النظريات الاقتصادية الحديثة"**، مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، 02، (2007)، ص80.

- «**المرحلة الأولى**» امتدت خلال العشرين سنة الأولى من حياته، منذ ولادته (732هـ إلى غاية 751هـ)، تلقى فيها تعليمه الأول، تعلّم القراءات وأحكام التجويد وأتم حفظ القرآن الكريم خلال خمسة عشر عامًا.
- «**المرحلة الثانية**» شملت خمسة وعشرين عامًا من حياته، من (سنة 751هـ إلى 776هـ)، وتميزت بانخراطه في الحياة السياسية والإدارية، إذ تقلّد فيها مناصب ديوانية متعددة في كل من المغرب، وتونس، والجزائر.
- «**المرحلة الثالثة**» تمتد من (نهاية سنة 776هـ إلى 784هـ)، وقد ألّف خلالها كتابه الشهير "العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"...، الذي تضمّن مقدمته المعروفة بـ"مقدمة ابن خلدون".
- «**المرحلة الرابعة**» وهي آخر مراحل حياته، وامتدت أربعًا وعشرين سنة (من 784هـ إلى 808هـ)، حيث استقر في مصر، وتفرغ لأداء مهامه في القضاء والتدريس، حتى وفاته.

أ)- الرحلات العملية والعلمية:

تقلّد ابن خلدون خلال العشرين سنة الأولى من حياته عدة مناصب سياسية وشارك في العديد من الأحداث المهمة، وكانت بداياته الأولى في تونس، حيث أول منصب شغله ابن خلدون كان في ديوان السلطان "أبي اسحاق الحفصي"[1] (751-770هـ/1350-1368م) كُلف كتابة العلاّمة السلطانة «**الحمد لله والشكر لله**» وهي ديباجة توضع في مراسلات السلطان[2].

غير أن منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، شهد تفشي وباء الطاعون في أجزاء واسعة من بلاد المغرب، مما أدى إلى وفاة عدد كبير من السكان،

[1]- **أبي اسحاق الحفصي (751-770ه/1350-1368م)**: ابراهيم أبي بكر المتوكل على الله ابن يحي الحفصى أبو اسحاق من ملوك الحفصيين.
- **ينظر**: خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين**، (بيروت، دار العلم للملايين، 2002)، ج1، ص34.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص460.

وكان من بينهم والدا ابن خلدون[1]، ومن هنا بدات حياته السياسية والإدارية، حيث أتاح له الاحتكاك برجال الدولة مما أكسبه خبرة علمية وإدارية وسياسية.

لكن ابن خلدون لم يمكث طويلاً في هذ المنصب، إذ اضطر إلى تركها نتيجة للاضطرابات والفتن السياسية، فرحل إلى المغرب الاوسط، وبعدها سمع به السلطان "أبي عنان المريني"[2] (749-759هـ/1329-1358م) ، فاستدعاه وضمه إلى المجلس العلمي، كرما منه على حد قوله عمل كاتب في ديوان هذا السلطان[3]، غير أن علاقته بالسلطان توترت لاحقًا، فأمر بسجنه سنة (756هـ/1355م)، وبقي محبوسا قرابة عامين حتى وفاة السلطان سنة (759هـ/1358م)، بعدها ولاه السلطان "أبو سالم بن أبي الحسن"[4] (760-762هـ/1358-1360م) منصب كاتب سرّه[5]، ثم ولاّه منصب القضاة وقد أداه حق الأداء[6].

لكن بمقتل "أبي سالم" تغيّرت الأوضاع، وبدأت الدولة المرينية بالمغرب تتراجع ونبذ الناس السلطان مما أدى إلى هلاكها.[7]

شهد ابن خلدون على العديد من الانقلابات والأحداث السياسية مما أكسبته الخبرة في الشؤون الإدارية والسياسية، وكان دائم البحث عن مصالحه فانتقل إلى غرناطة[8]، حيث استقبله أميرها ووزيره السابق "لسان الدين بن الخطيب" (776هـ) [9] رحب به وضمه وضمه إلى بلاطه، وكلّفه بمهمة الصلح مع القشتاليين سنة (756هـ/1364م)، فقام بهذه المهمة بأحسن قيام ، نظرا لما عرف عنه من ذكاء وخبرة سياسية، وقد منحه السلطان قطعة أرض زراعية بعد مجهوده في مهمة الصلح في قشتالة[10]، هذه المبادرة تثبت أن ابن خلدون كان شخصا فاعلا في السياسة.

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص462.

[2]- **أبي عنان** (749-759ه/1348-1358م م): وهو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، المتوكل على الله، من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. **ينظر**: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص127.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص477.

[4]- **أبو سالم الحفصي** (760-762ه/1358-1360م)هو ابرؤاهيم بن عثمان بن يعقوب أحد ملوك بنو مرين في المغرب الأقصى، **ينظر**: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص52.

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص482.

[6]- نفسه، ص487.

[7]- نفسه، ص487.

[8]- نفسه، ص491.

[9]- **ابن الخطيب** (ت776ه): محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني، الغرناطي، كان وزيرا لدى دولة غرناطة. ينظر: أبي عبد الله محمد بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تقديم: بوزيان الدراجين (الجزائر، دار الأمل للدراسات، 2009)، ص12.

[10]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص492.

لكن علاقته مع ابن الخطيب لم تسر على نحو جيد، الأمر الذي دفع ابن خلدون إلى مغادرة غرناطة متوجها إلى مدينة بجاية، وهناك تولى إلقاء الخطب ومارس التدريس في جامع القصبة، حيث كان يخصص ساعات النهار لأداء مهامه السياسية، بينما ينشغل مساء بالعلم، جمع بين العلم والسياسة.

جرت فتن وصراعات بين الأمراء وحكام الأقاليم المغرب، أدت إلى معارك طاحنة[1]، وقد كان ابن خلدون متفاديا لهذا الاصطفاف مع الطرف الخاسر وذلك لمصلحته وقدرته في الاحتفاظ على مكانته بعد تغير الحكام، لكن سرعان كثر السعاية والفتن ضده واحسن بذلك الخطر، وبعد هذه الأحداث والظغوطات التي جرت له قرر التوجه إلى منطقة الزاب[2]، وقرر ترك امور شؤون الدولة والتوجه إلى طلب العلم.

لكن استمرت الأحقاد والفتن حوله رغم محاولاته الانسحاب من دوائر التنافس السياسي[3]، حيث تعرض للوشايات المتكررة أساءت إلى سمعته وواجه خلافات مع بعض الحكام الذين باتوا يشكون في نواياه،[4] واتهم بطموحات انفصالية لم يكن يسعى إليها.

وجد ابن خلدون نفسه مضطرا إلى اتخاذ قرار حاسم يتمثل في اعتزال الحياةا لسياسية والانصراف إلى حياة العزلة، وقد وجد في بيلة أولاد عريف ملاذا آمنا إذ رجبت به ومنحته قلعة "بن سلامة"[5]، فاستقر بها بعيدا عن الصراعات الأمراء والمكايد السياسية لينصرف إلى التأمل والكتابة والتفرغ العلمي، وهي المرحلة التي ستثمر لاحقا عن تأليفه أحد أهم أعماله "المقدمة" التي وصفها بالنحو الغريب[6]، وقد مكث في القلعة 4 سنوات بعد انتهاءه انتهاءه من مقدمة شرع في تأليف أخبار العرب.

ورغم محاولات ابن خلدون بالانسحاب من الحياة السياسية، فإن الظروف أعادته إلى بلاط السياسة[7]، غير أن استمرار الوشايات والحسد جعله عرضة للتهم والاقصاء، مما

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص500.
[2]- نفسه، ص501.
[3]- نفسه، ص502.
[4]- نفسه، ص545.
[5]- **قلعة ابن سلامة**: تقع هذه القلعة بتاوغزوت بالغرب الجزائري، وكانت موطنا لقبائل بني هلال وسليم و بني توجين. **ينظر**: ناصر الدين سعيدوني، **"أين كتب ابن خلدون مقدمته؟"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 03، (ديسمبر 2008)، ص ص 8،10.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص550.
[7]- نفسه، ص552.

مما عمق شعوره بعدم الأمان وأكد له استحالة التعايش مع مناخ سياسي مضطرب، وقد مهدت هذه التجربة المتكررة من الإبعاد والخذلان لقراره الحاسم بمغادرة المغرب نهائيا والتوجه إلى المشرق.

وتُعد رحلته إلى مصر سنة (784هـ/1382م)[1] من أبرز المحطات العلمية في حياة ابن خلدون، إذ وصل إلى مدينة الإسكندرية في يوم الفطر، ومكث فيها حوالي شهر، كان ينوي خلاله الاستعداد لأداء فريضة الحج، غير أن الظروف لم تسمح له بتحقيق هذه الرغبة، فقرر مواصلة رحلته إلى القاهرة، حيث دخلها في مطلع شهر ذي القعدة من نفس السنة[2]، وبعد وصوله إلى القاهرة، سعى ابن خلدون إلى التقرب من السلطان "الظاهر برقوق"[3] (784–801 هـ/1382–1399 م).

وتمكن بالفعل من نيل ثقته ومكانته لديه، نتيجة لذلك عيّن أستاذا في مدرسة القمحية"[4]، والتي تُعد ثاني المدارس التي أنشت في مصر آنذاك، ولم يقتصر دوره على التدريس فقط، بل أسندت إليه أيضا مهمة قاضي القضاة بسبب كفاءته التي يمتلكها وتأهيله، وكان هذا المنصب في مصر أرقى مناصب الدولة آنذاك، وكان يُعد غاية ما يطمح إليه كبار الفقهاء والعلماء، إضافة إلى ذلك عُيّن أيضا أستاذ للفقه المالكي في المدرسة "الظاهرية البرقوقية" المصرية[5].

وفي سنة (789هـ/1387م) خرج لاداء مناسك الحج[6]، ورجع بعد عام، واستمر في عزلته عن السياسة وانشغل بالتأليف والتدريس[7]، وفي عام (801هـ/1399م) عيّن مرة أخرى ابن خلدون قاضي قضاة المالكية بمصر[8]، وبقي في هذا المنصب حتى توفى السلطان "الظاهر برقوق" ، غير أن الأمور لم تسر على ما يرام، حيث تم عزله سبب تفشي الفساد داخل بلاط المصري آنذاك.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص559.
[2]- نفسه، ص559.
[3]- **الظَّاهِر بَرْقوق** (784– 801 ه/1382 – 1399 م): برقوق بن أنس العثماني، أبو سعيد، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة،.**ينظر**: خير الدين الزركلي، **الأعلام** ، ج2، المرجع السابق، ص48.
[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص562.
[5]- نفسه، ص565.
[6]- نفسه، ص590.
[7]- نفسه، ص590.
[8]- نفسه، ص610.

بعد زيارته لمدينة القدس، التي عدها من البقاع المباركة، عاد ابن خلدون إلى القاهرة سنة (802هـ) [1]، ليجد أجواء التحريض والوشاية تحيط بمنصب قاضي المالكية، فاختار التفرغ للتدريس والتأليف، غير أن السلطان استدعاه لاحقا لمرافقته في حملة عسكرية إلى الشام، بصفته رجل دولة سياسي، وذلك سنة (803هـ) [2]، وعند وصول الحملة، تبين الأمر الأمير المغولي تيمورلنك يحاصر مدينة دمشق، مما بث الرعب في صفوف المماليك وأدى إلى فرار عدد من جنودهم إلى مصر [3].

وفي ظل هذه الظروف العصبية، أبدى ابن خلدون رغبة في لقاء تيمورلنك، فتم ترتيب مقابلة مباشرة بينهما، وقد جرى اللقاء في أجواء يغلب عليها الاحترام المتبادل[4]، إذ أبدى الأمير إعجابه بعلم ابن خلدون ومكانته الفكرية، وبدأ بسؤاله عن أحوال بلاد المغرب، فأجابه إجابة وافية، استعرض فيها أوضاعها السياسية والاجتماعية، وتحدث عن طبيعة قبائلها وعلاقتها بالسلطة[5]، ثم بسط أمامه نظريته في نشوء الدول وزوالها، موضحا دور العصبية والقوة في قيام الملك واستقراره.

وأثناء الحوار، انتهز ابن خلدون الفرصة ليلتمس الأمان لنفسه ولسكان دمشق، فاستجاب الأمير تيمورلنك لطلبه[6]، وأمر بعدم التعرض لهم، وبعد انقضاء الحصار، عاد ابن خلدون إلى مصر حيث أسند إليه مجددا منصب قاضي المالكية بالقاهرة عدة مرات، حيث تقلد هذا المنصب في فترات متقطعة، تخللتها عزول نتيجة لتقلبات سياسية ومنافسات داخلية في بلاط المماليك وعلى الرغم من تلك الاقصاءات، ظل يعاد إلى المنصب نظرا لما يتمتع به من مكانة علمية واحترام واسع بين العلماء والقضاة، حتى استقر به الأمر في سلك القضاة إلى أن وافته المنية رحمه الله (808هـ/1406م). [7]

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص611.
[2]- نفسه، ص611.
[3]- نفسه، ص618.
[4]- نفسه، ص619.
[5]- نفسه، ص621.
[6]- نفسه، ص625.
[7]- شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت902ه)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تح: سالم غتر سالم الظفيري، ط1، (السعودية، دار الصميعي، 2017م)، ص91.

ب)- الآثار العلمية:

ترك ابن خلدون تراث علمي يعكس عبقريته الفريدة، ولا تزال أعماله تحظى باهتمام واسع لدى الدارسين قديما وحديثا، وقد حافظت مؤلفاته على مكانتها العلمية، حيث تُدرَّس آراؤه في كبرى الجامعات حتى اليوم، لما تحمله من تفرّد في الطرح والتحليل، هذا التميّز دفع العديد من الباحثين إلى مقارنتها بأفكار كبار مفكري الغرب المؤسسين للعلوم الحديثة، ومن بين مؤلفاته، نذكر:

كتاب «**العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**» يعد هذا الكتاب أبرز مؤلفات ابن خلدون، يتكوّن هذا العمل الموسوعي من ثلاثة كتب موزّعة على سبعة أجزاء، يضمّ الكتاب الأول، الذي يشغل الجزء الأول، النظرية التي أسّس فيها علم "العمران البشري"، ويُعدّ بمثابة تمهيد نظري لعلم التاريخ، أما الكتاب الثاني، الممتد من الجزء الثاني حتى الخامس، فيتناول تاريخ الدول والسلالات العربية قبل الإسلام وخلال العصور الإسلامية، مع إشارات مهمة إلى شعوب أخرى مثل الفرس، الأقباط، الفينيقيين، اليونانيين[1]، أما الكتاب الثالث، الواقع في الجزأين السادس والسابع، فقد خصصه لتاريخ البربر، مع تركيز خاص على الحكم الملكي في المغرب العربي[2].

* إلى جانب "كتاب العِبر"، ألّف ابن خلدون مجموعة من الكتب المهمة الأخرى، منها:

- «**لباب المحصل في أصول الدين**» وهو تلخيص لمؤلف "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين" لفخر الدين الرازي، ويتناول قضايا العقيدة والكلام. [3]
- «**الحلل المرقومة في اللمع المنظومة**» شرح لأرجوزة من نظم ابن الخطيب تناولت أصول الفقه بناء على تلخيص لكتاب أبي إسحاق الشاطبي. [4]
- «**شرح البردة**» وهو شرح لقصيدة البردة، وقد أثنى عليه لسان الدين بن الخطيب واعتبره دليلاً على اتساع اطلاع ابن خلدون وتنوع معارفه[5].

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص219.
[2]- عبد الرحمان بدوي، **مؤلفات ابن خلدون**، ط1، (الجزائر، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1962)، ص 240.
[3]- نفسه، ص ص 7، 8.
[4]- نفسه، ص 245.
[5]- نفسه، ص11.

- «**شفاء السائل لتهذيب المائل**» كتاب في التصوف، حققه الباحث محمد بن تاويت الطنجي وطبع في إسطنبول سنة 1958م، وقد افتتحه المحقق بمقدمة علمية شاملة حول التصوف وتحقيق نسبة الكتاب إلى ابن خلدون [1].

ونستنتج من هذا، بأن ابن خلدون استطاع أن يجمع بين العلم والعمل، النظرية والتطبيق، الفكر والتجربة، فقد شهدت حياته محطات متعددة تنقّل فيها بين بلدان المغرب والمشرق، وتقلّد خلالها مناصب سياسية وإدارية وقضائية، إضافة إلى ذلك انشغاله بالتدريس والتأليف.

3/- منهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية:

تُعدّ الكتابة التاريخية من أقدم صور التعبير الفكري التي عرفها الإنسان، إذ رافقت الحاجة إلى تدوين الأحداث وتفسيرها لتطور المجتمعات البشرية منذ فجر الحضارات، وقد بدأت هذه الكتابة في شكل سجلات أولية تختص بحصر الوقائع والأنساب والمعارك، ثم تطورت مع مرور الزمن لتصبح علما قائما على مبادئ ومنهجيات دقيقة، وظهر اهتمام الإنسان بالتاريخ بدافع من الرغبة في فهم الماضي، والاتعاظ من تجاربه، وربط الحاضر بما سبقه من تطورات، وقد تباينت أساليب المؤرخين باختلاف العصور والحضارات، وهنا سنحاول التعرف على أسلوب ومنهج عبد الرحمان ابن خلدون في كتابته للتاريخ، وقبل هذا سنتعرف على معنى التاريخ ومفهومه اللغوي والاصطلاحي.

أ) تعريف التاريخ:

يدل لفظ التاريخ على معان متفاوتة، حيث اجتهد الكثير من المؤرخون في تحديد معنى التاريخ، فتعددت وتنوعت المفاهيم اللغوية لهذا المصطلح، ففي **"التعريف اللغوي"**:

يعرّفه الأديب "ابن منظور" (711هـ) بقوله: « التأريخ : تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ الكتاب ليوم كذا (وقته والواو فيه لغة ، وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة) وقيل : إن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وإن المسلمين أخذوه عن أهل

[1]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط2، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م)، ج2، ص218.

الكتاب، وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتب في خلافة عمر – رضي الله عنه – فصار تاريخا إلى اليوم».[1]

وجاء في المعجم الوسيط: «(أرخ) الكتاب حدد تَارِيخه والحادث وَنَحْوه فصل تَارِيخه وحدد وقته، و(التَّارِيخ) جملَة الْأَحْوَال والأحداث الَّتِي يمر بهَا كَائِن مَا وَيصدق على الْفَرد والمجتمع كَمَا يصدق على الظَّوَاهِر الطبيعية والإنسانية، وَيُقَال فلَان تَارِيخ قومه إِلَيْهِ يَنْتَهِي شرفهم ورياستهم (التأريخ) تسجيل هَذِه الْأَحْوَال»[2].

أما في **"الاصطلاح"** جاء في تعريف "السخاوي" (ت902هـ)، بأنه: «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم»[3]، أما عند "الكافيجي" (ت879هـ)، فقد عرّف التأريخ بأنه: «هو تعيين وقت لينسب إليه زمان مطلقا، سواء كان قد مضى، أو كان حاضرا، أو سيأتي»[4].

وعرّف العلّامة "ابن خلدون" (ت808هـ/1406م) التاريخ في "**كتاب العبر**" وقال عنه بأنه: «أمّا بعد فإنّ فنّ التّاريخ من الفنون الّتي تتداوله الأمم والأجيال وتشدّ إليه الرّكائب والرّحال، وتسمو إلى معرفته السّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، وتتساوى في فهمه العلماء والجهّال»[5]، وقال عنه ايضا: «هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال»[6].

ب)- منهج ابن خلدون:

رغم اهتمام العرب المسلمين بالتاريخ قبل ابن خلدون، فإن كتاباتهم التاريخية آنذاك كانت تميل إلى سرد الوقائع ونقل الأخبار دون إخضاعها للنقد أو التحليل، حيث غلبت الرواية على الدراية، أما "ابن خلدون" فقد تجاوز هذا المنهج، إذ نظر إلى التاريخ على أنه

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (711ه)، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، 2003م)، ج1، ص85.
[2]- المعجم الوسيط، (**باب الهمزة**)، ط2، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، 1972م)، ص13.
[3]- شمس الدين السخاوي، ط2، المرجع السابق، ص 91.
[4]- محي الدين الكافيجي (ت879ه/1474م)، **المختصر في علم التاريخ**، تح: محمد كمال الدين عز الدين، ط1، (بيروت، عالم الكتب، 1940م)، ص451.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص7.
[6]- نفسه، ص4.

ليس مجرد تسجيل للأحداث، بل علم يبحث في أسبابها وتحليلها، وقد تجلى هذا الفهم العميق في تعريفه للتاريخ[1]، حيث ميّز بين جانبين أساسيين: (الظاهر)، وهو ما يتعلق بالأحداث نفسها، و(الباطن) الذي يشير إلى العلل والدوافع الكامنة خلف تلك الأحداث، ويقول ابن خلدون في تعريفه للتاريخ: "و في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال، وتؤدّي لنا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال، واتّسع للدّول فيها النّطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتّى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزّوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق"[2].

يُعد ابن خلدون من أوائل المفكرين الذين كانت لهم الريادة في دراسة الظواهر الاجتماعية، والتي أطلق عليها اسم "واقعات العمران"، وقد أسّس لهذا الغرض علما جديدا أسماه "علم العمران"[3]، يُعنى بتحليل هذه الظواهر وتفسيرها، وقد حدده ابن خلدون، ويرى أن العمران هو نشاط جماعي حقيقي يمارسه البشر، لكنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا باحتياجاتهم المادية، ويشمل مفهوم العمران عنده مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، من سلطة وسياسة واقتصاد، إلى العلوم والصنائع وغيرها من شؤون المجتمع[4] .

أما العلم الذي يتناول دراسة أحوال هذا العمران، فقد أسماه "علم العمران"، وهو العلم الذي يهتم بتحليل الظواهر الاجتماعية بهدف الكشف عن القوانين التي تحكمها، ويُعد هذا العلم، بحسب مفهوم ابن خلدون، قريبًا مما نطلق عليه اليوم علم الاجتماع، ويسجل هذا ابن خلدون قائلا: "ونحن الآن نبيّن في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصّنائع بوجوه برهانيّة". [5]

---

[1]- طه حسين، **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد**، تر: محمد عبد الله ، ط1، (القاهرة، مطبعة الاجتهاد، 1925م)، ص38.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص3-4.
[3]- حسن الساعاتي، علم **الاجتماع الخلدوني –قواعد المنهج-**، ط4، (بيروت، دار المعارف، 1978م)، ص218.
[4]- نفسه، ص218.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص52.

لقد درس ابن خلدون واقعات العمران من أجل التاريخ، وكان يهدف إلى فهم التاريخ فهما صحيحا، ويدرس المجتمع ليفسّر التاريخ، فنظر للوقائع التاريخية نظرة فلسفية. [1]

ت)- آراء ابن خلدون في النقد التاريخي:

يرى ابن خلدون أن من الضروري فحص الأخبار وتمحيصها، وتجنب تلك التي تنطوي على الكذب أو التزييف، وأن المؤرخون السابقون أخذوا وجمعوا الأخبار دون تحميصها والتحقق من صحتها، وذلك لأن الوقوع في هذا النوع من الأخبار يعود إلى مجموعة من الأسباب التي ينبغي معرفتها وهي:

- الثقة بالناقلين:

يرى ابن خلدون أن المؤرخ قد يقبل الأخبار والأحكام دون تمحيص إذا كان الراوي محل ثقته، غير أن هذه الثقة لا تضمن دائمًا الوصول إلى الحقيقة، لذلك لا ينبغي للمؤرخ أن يُسلم بصحة الروايات لمجرد الثقة في مصدرها، بل عليه أن يشك فيها، ويتأملها، ويخضعها للنقد والتمحيص، ومعظم المؤرخين أمثال "الواقدي" و"المسعودي" أكتفوا بجمع الأخبار دون نقلها أدى إلى شيوع الأخطاء[2]، اعتمادا على ثقة في الرواة، دون التحقق من صدقهم، وفي نظره أن دراسة الظاهرة تخضع لقوانين التاريخ وقوانين المجتمع. [3]

- الذهول عن الماقصد:

يقصد ابن خلدون بهذا المصطلح، وهو غفلة المؤرخين وعدم انتباههم إلى ما قد تتضمنه بعض الروايات من معلومات زائفة، يسعى المغرضون إلى تمريرها عبر كتاباتهم، مما يؤدي إلى وقوع المؤرخ في نقل الكذب دون أن يشعر، وهذا ما وضّحه ابن خلدون في قوله: "منها الذّهول عن المقاصد فكثير من النّاقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنّه وتخمينه فيقع في الكذب"[4]، لذا يتضح من قوله بأن المؤرخ

---

[1]- زينب محمود الخضيري، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، (بيروت، دار التنوير، 2006م)، ص66.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص4.
[3]- علي أومليل، **الخطاب التاريخي –دراسة لمنهجية ابن خلدون-**، ط3، (المغرب، دار البيضاء، 1985م)، ص11.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص10.

قد ينقل ما سمعه أو شاهده من المغرضين بأمانة، دون أن يدرك زيف المعلومات، فيقع في الكذب أو الخطأ من غير قصد، نتيجة لعدم تفطنه إلى الحقيقة الكامنة خلف ما نُقل إليه.

- الأغراض:

ويقصد بها ابن خلدون تفسير المؤرخ للظواهر التاريخية انطلاقًا من ميوله الشخصية أو بدافع مصلحة معينة، وقد يكون ذلك بغرض تزييف الحقائق والتقرب من أصحاب الجاه والسلطة والثروة، فيُظهرهم في صورة حسنة، حتى وإن كانت الحقيقة تخالف ذلك، فيخبرنا بهذا ابن خلدون ويقول: "ومنها تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التّجلّة والمراتب بالثّناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذّكر بذلك فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة فالنّفوس مولعة بحبّ الثّناء والنّاس متطلّعون إلى الدّنيا وأسبابها من جاه أو ثروة"[1]، لذا فيرى ابن منظور من ينقل الأخبار بإمكانه أن يلجأ إلى التزييف بغية التقرب من أصحاب الجاه والسلطان، او من أجل مصلحة أو تحقيق غرض.

- الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع:

يرى ابن خلدون أن الخطأ في الكتابة التاريخية غالبًا ما ينشأ من جهل المؤرخ بطبائع الظواهر وأسباب نشوئها[2]، إذ يكتفي بالنظر إلى مظاهرها الخارجية دون التعمق في جوهرها وخصائصها الذاتية التي تكشف عن حقيقتها، ويجب على الباحث اعتماد على ملاحظة الظواهر التاريخية والاجتماعية وذلك بتفسيرها واستقراء الأثر الواقعي للظاهرة[3].

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص46.
[2]- نفسه، ص12.
[3]- نذير معيزي، **أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون**، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، 02، (2021/01/05)م، ص10.

ثانيا: نظرة ابن خلدون الى الهلاليين وتأثيراتهم بالمغرب الأوسط

1- تأثيراتهم السياسية والعسكرية:

لم يكتف بنو هلال بمجرد استقرارهم في بلاد المغرب، بل كان دخولهم عاملا حاسمًا في تغيير موازين قوى الدول التي كانت قائمة آنذاك، إذ امتد النشاط السياسي والعسكري قبائل العرب الهلالية إلى سائر بلاد المغرب، أثر ذلك في عدّة جوانب:

أ) تفكك السلطة الصنهاجية:

يرى "ابن خلدون" أن نقطة الانكسار ببلاد المغرب بدأت حين انقلب "**المعز بن باديس**" عن الدولة الفاطمية، وتحول إلى الولاء للعباسيين، فكان رد الخليفة الفاطمي "**المستنصر بالله**" عنيفًا، إذ سلّط عليه القبائل الهلالية قائلا: «قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز الصنهاجي العبد الآبق، فلا تفتقرون.... »[1].

إن نظرة ابن خلدون لهذا القرار كان بمثابة الضوء الأخضر للهلاليين ليُقبلوا على المغرب كالجراد المنتشر[2]، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه خرابًا ونهبًا، ويؤكد "ابن خلدون" أن من أول من وصل إلى بلاد المغرب من هذه القبائل كان "موسى بن يحيى الصنبري"، أمير قبيلة "رياح"، الذي استماله "المعز بن باديس" واستخلصه لنفسه وأصهر إليه، ظنًا منه أنه يضمن ولاءه في مواجهة تمرد صنهاجة وزناتة، لكن النتيجة كانت عكسية، فموسى دعا قبائله من الشرق، وتدفقت جموع "رياح" و"زغبة"[3] و"جشم" و"عوف" نحو بلاد المغرب[4].

يتحدث ابن خلدون في وصف هذا الزحف السياسي المدمّر: «سارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى المغرب كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه....»[5]، ويتابع "ابن خلدون" بوصف تفكك الدولة الصنهاجية، إذ دخلت تلك القبائل

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص17.
[2]- نفسه، ص 18.
[3]- نفسه، ص ص 19-20.
[4]- أبوضيف مصطفى أحمد عمر، **أثر القبائل العربية ببلاد المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجماعية، 1982)، ص ص 57، 58.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص33.

القرى والمدن، وانقلبت على التحالف مع "المعز"، بل وناصرت شعار الفاطميين في حرب انتقامية ضد "الزيريين".

ثم يروي ابن خلدون كيف وصلت الأمور إلى ذروتها مع "حصار القيروان"، حين اجتمعت جموع العرب على العاصمة، وطال الحصار حتى نفدت الأقوات، وهرب الناس من المدينة، وعمّ الخراب فيها، ويحدثنا بأسلوبه الصارم عن هول ما جرى: «هلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب وعيثهم، وخربت البلاد، وخرج الناس من القيروان إلى سوسة والمهدية، وفرّ المعز إلى المهدية، واستولى العرب على القيروان.....» [1].

يعد هذا الحدث نهاية لمنظومة السياسية والعسكرية بأكملها، فقد سقطت القيروان، وسقطت معها الدولة "الزيرية"، ويتضح من ذلك أن المعز لم يُهزم فقط في ساحة المعركة، بل انهزم سياسيا وعسكريا حين فقد شرعيته، واضطر للهروب إلى المهدية، تاركا القيروان لأمراء العرب، الذين تقاسموها على بطونهم[2].

وفي ضوء ذلك، تبرز نظرة ابن خلدون من الهجرة الهلالية كأمر خلخل الدولة سيايا وعسكريا، إذ كانت نتيجته زوال السلطة وتحول القيادة السياسية والعسكرية إلى الزعامات القبلية الذين بدأوا يمارسون السلطة.

ب) تقسيم بلاد المغرب بين القبائل الهلالية:

إن من أبرز مظاهر التأثر السياسي والعسكري بعد اجتياح العرب الهلاليين لبلاد المغرب هو تفكك السلطة وتحولها إلى سيادة محلية موزعة على بطون القبائل[3]، ويخبرنا "ابن خلدون" أن هذه القبائل، بعد أن أسقطت "القيروان"، لم تكتف بالغزو والنهب، بل استقرّت وتملّكت الأرض، وأخضعت الناس، وفرضت الجباية، وتقاسمت البلاد، فصار لكل بطن من بطون الهلاليين مجال نفوذ خاص به، يحكمه زعيمه ويتصرف فيه كما يشاء[4].

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19.
[2]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص 58.
[3]- ابن الأثير (630ه)، **الكامل في التاريخ**، (تح): عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1997)، ج11، ص326.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19.

ويقول "ابن خلدون" في هذا السياق: « اقتسمت العرب بلاد إفريقية سنة ست وأربعين، وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، واستولت رياح وجشم والأثبج وسفيان والمعقل على الضواحي الغربية من تونس إلى الزاب وقسنطينة والمسيلة وبسكرة...» [1].

تؤكد نظرة "ابن خلدون" لهذا التقسيم بأن البلاد لم تعد تخضع لحكم موحد أو سلطان رئيسي، بل أصبحت رقعة ممزقة يحكمها زعماء قبائل لا يجمعهم قانون ولا ولاء إلا لمنطق العصبية والغلبة، ويتابع "ابن خلدون"، موضحا كيف كانت كل قبيلة تفرض على الناس الجباية، وتمنع السلطان من دخول أراضيها، وتتعامل مع الملوك كمنافسين لا كحكام، ومن جهة أخرى، ساهم هذا التقسيم في إضعاف المدن والحواضر، إذ هُجرت القيروان وتونس، وضعف دور الحواضر التجارية، بينما انتقلت مراكز القرار السياسي إلى الصحارى والأرياف، حيث كانت القبائل تستقر [2].

ونستنتج هنا أن نظرة ابن خلدون في تقسيم البلاد بين القبائل الهلالية كما صوّره لنا، لا يُفهم كمجرّد توزيع عسكري بعد النصر، بل يُفهم كتجسيد لتفكك بلاد المغرب ودخول المغرب في عصر الحكم الفوضوي القَبَلي.

ت) تغيير مركز سلطة بني حماد في بجاية :

يعد موضوع انتقال أو تحويل مركز السلطة الحمادية من "قلعة بني حماد"[3] إلى مدينة "بجاية"[4] في القرن (5هـ/11م) اهتمام العديد من المؤرخين والباحثين، وقد اختلفت آراؤهم وتصوراتهم حول هذا التحويل، فهناك من رجعها إلى ظروف طارئة، وهناك من نسبها إلى تحولات حضارية واقتصادية، "الرأي الأول" يراها حادث سياسي وحربي حفز الأمير "الناصر بن علناس" لبناءها سنة 460هـ بسبب النتائج التي أسفرت عنها موقعة

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 19،20.

[2]- نفسه، ص 70.

[3]- **قلعة بني حماد**: يصفها الحموي بقوله: "قلعة بني حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران، لها قلعة عظيمة قمة جبل يسمى "تاقربوست"، تشبه في التحصين ما يحكى عن قلعة "أنطاكية"، وهي قاعدة ملك بني حماد". - **ينظر**: الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت، دار الأحياء، 1979م)، ج4، ص163.

[4]- **بجاية**: يشير صاحب الاستبصار إلى حصانتها ويقول: " مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبهجر منها في ثلاث جهات: في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة المغرب، يسمى بالمضيق، وطريق القبلة إلى قلعة حماد على أعقاب وأوعار وليس لها طريق سهلة إلى من جهة الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل". **ينظر**: مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، (تع): سعد زغلول عبد الحميد، ط2، (العراق، دار شؤون الثقافة العامة، 1985)، ص129.

"سبيبة" التي انهزم فيها "الناصر" سنة 457هـ، نتيجة خيانة القبائل العربية له[1]، و"الرأي الثاني" يراها أن سبب ذلك هو علاقة الصلح بين "الناصر الحمادي" و"تميم بن المعز" حيث وجدوا أن المصلحة تقضي بذلك حفاظا على الدوليتين الصنهاجيتين مما يتهددها من الخطر الهلالي[2]، وهناك "رأي ثالث" يرى أن الأمير "الناصر" كان يمر في طريقه إلى القلعة فأعجبته ضيعة صغيرة لصنهاجة تدعى "بجاية"[3]، و"رأي آخر" يرى أن تشييد بجاية هو ان الناصر كان يريد فتح المهدية، فاتضح له بأنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هاجم عليها من جهة البر والبحر، لذلك اختار مرسى مأمونا وموقعه غني بالغابات والحديد التي تسمح له بإنشاء أسطول يحتاجه لتحقيق هدفه[4].

أما بالنسبة لرأي "ابن خلدون"، فقد تحدث بإيجاز عن انتقال الحماديين إلى بجاية، وعلل ذلك بالخوف من تهديدات القبائل العربية (الهلالية)، فقال: «ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكنى القلعة، واختط بالساحل مدينة بجاية، ونقل إليها ذخيرته وأعدها لنزله، ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم.....»[5].

بهذا النص، يرسم ابن خلدون صورة واضحة لحالة الهروب السياسي والعسكري التي انتهجها "الناصر بن علناس"، الذي أدرك عجزه التام عن حمايتها، فآثر التخلي عنها وتأسيس مدينة جديدة في "بجاية" على الساحل، تكون أكثر أمنا بحكم صعوبة مسالكها الجبلية وصعوبة اقتحامها من قبل العرب الهلاليين.

ث) حيازة الضواحي ووظائف الدولة :

لم يكف الهلاليين بالغزو والسكن، ولا بمجرد السيطرة على الأرض، بل انتقلوا تدريجيا إلى حيازة الأرياف وممارسة وظائف الدولة، فعدما فشل بني حماد في مواجهتهم عسكريا، وفشل التحالفات العسكرية الصنهاجي والزناتي في دحرهم، اضطر بنو حماد إلى

---

[1]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، المصدر السابق، ج8، ص373.
[2]- عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، 456.
[3]- عبد الحيلم عويس، **دولة بني حماد، صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ط2، (القاهرةن، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1991)، ص101.
[4]- رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977)، ص68.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص24.

الاتفاق معه ومصالحتهم على التنازل لهم على ملك الضواحي والبداوي[1]، وامتدت سيطرتهم لكل ضواحي صنهاجة إلى ضواحي زناتة التي أزاحوها من الزاب وما إليه من بلاد المغرب وتغلبوا على الضواحي في كل وجه، فتحولت مساحات واسعة من الأراضي بلاد المغرب إلى ضواحي ومجالات هلالية، وهذا ما عناه "ابن خلدون"، بقول: «ولم يزل هذا دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي إفريقية والزاب...» [2].

إضافة إلى حيازة الأرياف والضواحي لبلاد المغرب، انتقلوا إلى ممارسة وظائف الدولة والحكم، خصوصا في مجال الجباية والإتاوة[3]، وهو ما جعلهم قوة مالية وعسكرية تنازع الملوك في مواردهم وشرعيتهم، وهذا ما صوّره لنا "ابن خلدون" على أن القبائل الهلالية فرضت الجباية على الضواحي، وقعدت للسلطان بالمرصاد، فلا يدخل أرضا إلا بإذنهم، ولا يُحصل مالا إلا بمشاركتهم، فيقول: «.....وهجروا ملوك إفريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار، وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم...»[4].

لقد فرضت القبائل الهلالية واقعها السياسي والعسكري على بلاد المغرب، لم تبق على ولاء موحد لأي جهة، بل شاركت في صراعات الدول المغاربية وأعادت رسم التحالفات على أسس مصلحية، وأصبحت قوة حاسمة، وكانوا يتحالفون مع من يضمن لهم الغلبة، فقد انضموا إلى الموحدين في الأندلس، ثم ارتدوا إلى بني "غانية" في بجاية سنة581 هـ[5]، ويقول ابن خلدون «..... وكشفوا القناع في نقض طاعة الموحدين، ودعوا العرب بها، فعادت هيف إلى أديانها»[6]، أي رجعوا عن طاعة الموحدين، في المقابل تحالفت قبائل زغبة مع الموحدين ضد بني غانية.

---

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص ص 148،149.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20.
[3]- نفسه، ص24.
[4]- نفسه، ص24.
[5]- عبد الواحد المراكشي (647ه)، **وثائق المرابطين والموحدين**، (تح): حسن مؤنس، ط1، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 1997)، ص162.
[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص25.

إذا فهنا يرى "ابن خلدون" أن العرب الهلاليين، في هذه المرحلة، لم يكونوا مجرد غزاة، بل تحولوا إلى بديل للسلطة السياسية والعسكرية، وفرضوا واقعا جديدا وبداية التطبيع مع الهيمنة الهلالية، وأصبحوا قوة مسلحة تتنقل حيث تجد النفوذ والريع.

2- تأثيراتهم الاقتصادية:

شهدت بلاد المغرب تغيرا اقتصاديا ملحوظا في فترة النزوح الهلالي للمغرب، وكان لهذا النزوح تأثيرات عديدة على بلاد المغرب، ويمكن حصرها في عدة جوانب:

أ) تأثيراتهم في مجال الفلاحة والزراعة:

كان من نتائج زحف بني هلال للمغرب أثر كبيرا في النشاط الفلاحي والزراعي، فيمكن حصر هذا التأثير في مظهرين، الأول يتمثل في الأثر السلبي، وهو تخريب المدن وتعطيل الأنشطة الزراعية والفلاحية، نتيجة نزوحهم المباشر وما عاقبها من حروب، فهددو الطرق والمسالك وأثروا في في حال الزراعة والفلاحة بالمنطققة المغاربية، واختفت قلعة بني حماد، وقل الانتاج الفلاحي والزراعي داخل القرى والمدن،[1] فكانت قبائل بني هلال تعتمد على الرعي والاستيلاء على مجالاتها، فارتحل أهلها من البربر ونزحوا إلى التل والصحراء، فسيطرت العرب على الكثير من المساحات الزراعية للمغرب، والتي انحصرت لحساب المجال الرعوي، وهو النمط الذي عرفت به هذه القبائل الهلالية. [2]

وهذا ما ذكره "ابن خلدون"، بأن هذه القبائل لا تستقر في أرض واحدة ولا تهتم بالزراعة بطبعها، بل تعتمد على التنقل والرعي، ما أدى إلى خراب القرى وتوقف الفلاحة، وأورده وصفه لهذا الوضع بعد دخول العرب الهلالية بقوله: «وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد .....»[3]، ويضيف أيضا: «....وصاروا إلى ملك الضواحي والتغلب عليها، وسيم الرعايا بالخسف في النهب والعيث

[1]- خديجة بورملة، **"التغييرات السياسية والعسكرية والاقتصادية بالمغرب الأوسط في ظل الهجرة الهلالية"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 02، (2025)، ص400.

[2]- بلمداني نوال، **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5ه/10-11م)**، (أطروحة دكتوراه، جامعة وهران ، 2014)، ص79.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص24.

وإفساد السابلة»[1]، يتبين هنا كيف أدى دخول هذه القبائل إلى تخريب الفلاحة والزراعة من مياه وسواقي وغطاء نباتي، وهو ما يعني توقف هذا النشاط واندثار القرى التي كانت تعتمد عليه.

إضافة إلى ذلك أشار إلى هجرة الفلاحين من أراضيهم خوفًا من النهب والاضطراب الأمني، فانهار بذلك أهم الأنشطة في بلاد المغرب، ويضيف بقوله: «وفر أهل القيروان إلى تونس وسوسه، وعم النهب في البلاد والعيث في البلاد»[2].

لكن، وبعد استقرار هذه القبائل لفترة وجيزة ببلاد المغرب، عملت على تنمية ثرواتها الحيوانية، خاصة الإبل والخيول، نظرا لخبرتهم الواسعة في هذا المجال[3]، وساهمت بعد تخريبها للبلاد المغربية في تغيير وضع الزراعة والفلاحة، فاشترهوا بكثرة إنتاج المحاصيل والحبوب، وزراعة الزيتون والنخيل، وبذلوا جهدا في توفير المياه الزراعية، فكان أثرهم ملحوظا في الحياة الزراعية للمغرب.[4]

تكشف نظرة ابن خلدون أن هذه الهجرة أثرت سلبا فيما يخص الزراعة والفلاحة بالمنطقة المغاربية في بداية النزوح الهلالي، نتيجة الحروب والتخريب وأدت إلى تراجعها، لكن مع استقرارهم لاحقا، ساهموا في تنمية الثروة الفلاحية والزراعية، مما أعاد بعض التوازن لهذا النشاط.

ب) تأثيراتهم التجارية في المغرب:

ومن دون شك أيضا فإن زحف العرب بني هلال لبلاد المغرب ترك آثارا في الناحية التجارية، فمع انعدام الأمن وسيطرتهم على بلاد المغرب والسودان وطرقها، تأثر الاقتصاد لبلاد المغرب[5]، واختفت قلعة بني حماد التي كانت مركزا تجاريا، وأصبحت القيروان ممرا عابرا، وقل النشاط الزراعي والفلاحي داخل المدن الداخلية وكذلك الساحلية،

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 27، 28.
[2]- نفسه، ص19.
[3]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص401.
[4]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص ص 300،299.
[5]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص402.

وهجرة الناس لمزارعهم وعم الغلاء في البلاد[1]، فأصبح التنقل في بلاد المغرب والعبور بطريق القوافل إلا بحراسة وخفارة من عرب بني هلال[2].

لقد تحدث "ابن خلدون" في هذا الجانب، وأشار إلى أفعالهم وقطعهم الطرق قبل دخولهم المغرب، فيقول في كتابه: «يغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة، ويقطعون على الرفاق، وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة »[3]، هذا النص يراهم بأهم كانوا معروفين بقطع الطرق وإفساد السابلة، أي تعطيل حركة القوافل والأسفار التجارية.

كذلك في فترة دخولهم المغرب، تحدث عنهم بأنهم تسببوا باضطراب كبير في أمن الطرق والمرافق التجارية، إذ أصبحت القوافل عرضة للنهب والانتهاك، مما أدى إلى شلل شبه تام في حركة التجارة، وقد أشار صراحة إلى ذلك بقوله: «ضيقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة»[4]، ويضيف أيضا: «فدخلوا البلد واستباحوه، واكتسحوا المكاسب»[5]، وهذا النظرة لان خلدون تدل عند دخولهم القيروان قاموا بتدمير النشاط التجاري، ونهب الأسواق، واكتساح ممتلكات تجارها، فجعلوا من الصنهاجيين يفكرون في الاهتمام بالأساطيل البحرية عكس الطرق البرية التي كان ينعدم في الأمن.[6]

وبعد سيطرتهم على أهم الطرق التجارية الكبرى بالمغرب، أصبح لهم نشاط تجاري هام، وأصبحوا يتحكمون في القوافل التجارية، وصارت التجارة خاضعة لسلطتهم، ولا تمر القوافل التجارية إلا بضريبة تدفعها[7]، فيتحكمون في توزيع المنتجات، وشاركوا تجار المغرب فيما يتجرون، حتى رجعت اسواقها واغتنى تجارها، وسيطروا على العلاقات الخارجية وفرضوا طاعتهم على الطرق التجارية، وأقاموا فرق من الفرسان للقضاء على ما يهدد أمن هذه الطرق[8].

---

[1]- ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس**، ط1، (تونس، مطبعة الدولة التونسية)، ص86.
[2]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص402.
[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 16.
[4]- نفسه، ص19.
[5]- نفسه، ص19.
[6]- خديجة بورملة، المرجع السابق، ص403.
[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص60.
[8]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص310.

واستنتاجا لهذا، وحسب "ابن خلدون" يتبين لنا بأن بلاد المغرب تأثرت تجارته بفعل الغزو والنهب وقطع الطرق من طرف العرب الهلالية، مما تسبب في شلل التجارة وتراجع نشاطها، وتطور الوضع إلى السيطرة على الطرق والمسالك التجارية بالمغرب، وأصبح هذا النشاط خاضع لنفوذهم، حيث فرضوا نظام الخفارة على الطرق وتحصيل الضرائب على القوافل التجارية.

3- تأثيراتهم الاجتماعية والثقافية:

خلّفت هجرة عرب بني هلال إلى المغرب تحولات عميقة وبعيدة الأثر، مست بنية المجتمع المغاربي، فأدخوا عاداتهم وتقاليدهم ورسخت في البلاد، واندمجوا مع البربر وتزاوجوا، واختلطوا مع أهالي بلاد المغرب التي دخلوها حتى قيل أن رجال البربر اصبحوا اليوم كلهم يتقنون اللغة العربية بفصاحة[1]، وعاشوا بسلام معهم، بحيث أصبح يلاحظ أن لا فرق بين من هو أصله من عربي ومن هو من أصل بربري، من أبرز هذه التأثيرات:

أ) التأثيرات الاجتماعية:

لقد أحدثت الهجرات المتتالية للعرب الهلالية لبلاد المغرب، وحصارهم للبربر في مواطنهم، وإقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بالسكان، آثار عظيمة على الحياة الاجتماعية بالبلاد المغربية، وهذا نتيجة دخول عناصر جديدة بدوية في منظومة الهيكل المجتمع المغاربي، ونتج بداية نزوحهم ومع ارتفاع عددهم تفكك المجتمع المغاربي[2]، فقد اضطرّت معظم القبائل البربرية ترك أوطانهم والهجرة إلى الواحات وكذلك الوديان الخصبة، ومنهم من ارتحل إلى شمال السودان الغربي[3]، وأشار "ابن خلدون" للحالة الاجتماعية التي آلت إليها بلاد المغرب، بعد دخول هذه القبائل إليها، نتيجة العنف والنزوح القسري وانهيار المنظومة السياسية والاجتماعية لهذه البلاد، فقد تفرّق السكان بفعل الغارات وانعدام أمن المدن، فغادروا مناطقهم، وتشتت روابطهم، وقطع تواصلهم، فشبه "ابن خلدون" هذا الوضع بـ "الرّزية العظمى"، حيث قال: «وتفرق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية»[4]، أي

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص ص 264،265.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 28،29.
[3]- نفسه، ص 78.
[4]- نفسه، ص19.

تشتّت سكان البلاد وانتقلوا إلى أماكن متفرقة في الأقاليم والمناطق المختلفة، بعد أن كانت تجمعهم وحدة جغرافية واجتماعية، ويضيف وصفه لهذه الحالة باستخدامه لعبارة "أعضل الخطب" أي أصبحت هذه الوضعية مصيبة اجتماعية بلغت حدّا لا يستهان بها، حيث بلغ المجتمع درجة الانهيار.

إن العرب الهلالية لما بُعثوا من مصر، حملوا كل ما يملكوه لم يتركوا شيئا يعودون إليه، فكان تفكيرهم فقط الإستيطان ببلاد المغرب، فبدأ زحفهم بدخولهم "برقة" ثم "القيروان" التي قبائل بطون "زغبة و"رياح"،[1] واستطاعوا بالقوة الاستقرار في جزء كبير في المنطقة، فارضين سيطرتهم على الأهالي واختلطوا بهم وتملكوا لأراضيهم، وسمح هذا الاستقرار والتواجد بالمغرب، عملية الاندماج في المجتمع، وأصبح المغرب وطنهم الذي لن يرتحلوا عنه، وحتى أصبحوا يدافعون عنه ضد الغارات الصليبية القادمة من المدن الإيطالية[2].

لقد أحدثت هذه القبائل الهلالية تأثيرات في التركيبة السكانية لبلاد المغرب بكل أقسامه ومناطقه، وهذا بسبب كثرة عددهم وانتشارهم في البلاد، ولم تترك هذه القبائل شبرا من بلاد المغرب إلا وطرقوه، ونتج عن هذا مخالطة القبائل الهلالية العربية للقبائل البربرية في المدن وكذلك القرى، فامتزجت الدماء البربرية بالعربية، والتي خلفت أجيال اشد قوة وعزيمة، وقد ساهم هذا الامتزاج التشابه في الحياة العربية لبني هلال مع بعض القبائل البربرية،[3] وقد اكد "ابن خلدون" أن دخول هؤلاء العرب الهلالية إلى بلاد المغرب، ساعد في اعريب البلاد، وانتشرت اللغة العربية بشكل سريع شمل كل من المدن والقرى والأرياف، وكان لدخولهم المغرب أثر على العنصر البربري والعربي، فأحدثوا تغيير في اللسان البربري، وقد غيرت لغة التخاطب العربية الهلالية في اللسان البربري، وحفّت لهجتهم المحلية في البداوي البربرية، وحدث هذا نتيجة الاحتكاك والامتزاج بينهم. [4]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص21،20.
[2]- أبو محمد عبد الله التجاني (721ه)، **رحلة التجاني**، (تح): حسن حسني عبد الوهاب، (تونس، الدار العربية للكتاب، 1981)، ص336.
[3]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص310.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 129.

اعتبر "ابن خلدون" هذا الدخول فتحا اجتماعيا وجنسيا، وتكلم على أحد من الأمراء من بني "عامر" بن زغبة من بني هلال، يقول: «ونزل على السلطان، وأصهر إليه ابنته»[1]، ويدل هذا على حدوث تمازج بين العنصرين العربي والبربري، مما ساهم في انتشار اللغة العربية والعادات والتقاليد العربية وسط سكان المغرب.

فقد امتزجوا في نمط حياتهم البدوية، فصاروا مثلهم في اللغة والعادات واللباس، وسكنى وخيام، وتربية الإبل وممارسة الحروب، وكذلك التنقل الموسمي في المجال الرعوي والماء[2]، حتى لم يعد بالإمكان التمييز بين العرب والبربر، وهو ما يظهر أثر الاختلاط والاحتكاك بين القبائل البربرية والعربية في المغرب[3].

لذا نلاحظ بأن هذه الهجرة العربية لبلاد المغرب، أحدث تغييرات عميقة في مجتمع المنطقة المغاربية، أدى إلى اختلاط سكانها وظهور مجتمع جديد يجمع بين العنصرين العربي والبربري، وبدأت تتغير ملامح الهوية الاجتماعية في المغرب بشكل جذري.

ب) التأثيرات الثقافية:

عرف دخول العرب الهلالية لبلاد المغرب زحف ثقافي كبير بالمنطقة، فقد حملت معها ثقافات وعلوم عديدة، ونجحت هذه القبائل العربية في نشر اللغة العربية والإسلام معا في جميع أنحاء المغرب، وهذا راجع لاتفاق أساليب حياتهم وتجانسها مع الحياة البربرية في السهول والجبال، فقد كان كل القبائل العربية وكذلك البربرية شعوبا بدوية رعوية، مما سهل امتزاجهم وتكوين جنس مختلط استعرب البربر[4]، فكان أهم عناصر الثقافية المتكونة في المغرب هي اللغة، فقد استطاع الطابع العربي أن يغلب الطابع المغاربي منذ حلول بني هلال بالمغرب.[5]

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 62.
[2]- نفسه، ص 167.
[3]- نفسه، ص 168،167.
[4]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص ص 264،263.
[5]- عبد الحيلم عويس، المرجع السابق، ص255.

وقد قام "ابن خلدون" بتلخيص لنا مسار التعريب في بلاد المغرب الإسلامي، كاشفا التحول التدريجي من اللهجات البربرية المختلطة، التي كانت تتأثر بلغات الشعوب التي استعمرتها سابقا إلى اللغة العربية، هذا التحول استغرق نحو ثلاثة قرون، ممتدا من القرن الحادي عشر الميلادي مع دخول قبائل بني هلال المغرب (ق11م) ، حتى القرن الرابع عشر الميلادي (ق14م) [1]، وهو الزمن الذي دوّن فيه "ابن خلدون" مؤلفه الشهير "العبر" وقد قسم هذا التغير اللغوي إلى مراحل زمنية، مرتبطة بفترات ما قبل وأثناء وما بعد التغريبة الهلالية، مستهلا عرضه بزمن دخول بني هلال إلى المغرب، حيث أشار إلى ذلك بقوله: «ان آخر مواطن العرب كانت برقة.... ولما أجاز بنو هلال إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب»[2].

وهنا تجد الإشارة إلى أن عرب الفتح، رغم محاولاتهم في تعريب سكان البربر في المناطق التي استقروا بها، فإن تأثيرهم اللغوي ظل محدودا في المدن الكبرى، فاستمر هذا الوضع حتى وقوع الغزو الهلالي للمغرب خلال منتصف القرن الخامس الهجري والحادي العشر الميلادي، فساهمت القبائل الهلالية في غرس اللغة العربية المغرب، فتعربت قبيلة "كتامة"[3]، ثم تبعتها قبائل البرانس "هوارة"[4]، وواصل التعريب انتشاره حتى دخلت قبيلة "زناتة"[5] في هذا المسار اللغوي.

كذلك عبر "ابن خلدون" عن مظاهر التحول الثقافي العميق الذي طرأ على بعض القبائل البربرية في بلاد المغرب نتيجة احتكاكها المستمر بالعرب، خاصة بعد الهجرات المتتالية الكبرى، فأشار إلى تحول واضح في المظهر الخارجي لسكان البربر، حيث تبنّت فيه هذه القبائل اللباس العربي التقليدي[6]، بما يحمله من رمزية اجتماعية وثقافية، وأصبحت مجموع العادات والتقاليد والسلوكيات الاجتماعية التي أصبحت تماثل ما هو مألوف لدى العرب، مما يدل على تحول شامل في هوية هذه القبائل البربرية[7].

---

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد، المرجع السابق، ص ص 264،265.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص6.
[3]- نفسه، ص168.
[4]- نفسه، ص ص 168،169.
[5]- نفسه، ج7، ص79.
[6]- نفسه، ج6، ص135.
[7]- نفسه، ص136.

ويكشف في موضع آخر أن البربر تبنّوا ملامح الزي العربي في لباسهم ومظهرهم[1]، لكن هذا التبادل لم يكن مقتصر على تأثر البربر بالزي العربي فحسب، إنما تأثر العرب أيضًا ببعض مظاهر اللباس البربري، ومنها ارتدائهم العمائم على طريقة "الزناتيين"، فيقول: «وقوم يلفون منها الليث والأخدع قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم»[2].

ومن المعروف تاريخا، بأن مساكن أهل البادية العرب هي الخيام[3]، حيث كانت مسكننا لعرب بني هلال باعتبار هذه القبائل من أعرق الأمم في البداوة، ولقد ألمح "ابن خلدون" بأن بيوت عرب بني هلال متخذة من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة[4]، ومع دخولهم المغرب استمرت هذه القبائل في اتخاذهم لهذا الأسلوب في اتخاذ اتخاذ مساكنهم، وأشار أيضا "الوزان" على هذه الاستمرار لهذه القبائل في نقل عاداتهم وتقاليدهم واتخاذهم للخيام، ووصف بيوتهم بالجمال والعظمة[5].

نستنتج مما سبق، بأن ورغم الزحف الذي أحدثته القبائل العربي لبني هلال في المغرب، والحروب التي أدارتها في المنطقة، ورغم كل ما قيل عنها وما نسب إليها من تخريب وفساد، فلا يمكن نكران مساهمة هذه القبائل في غرس اللغة العربية ونشر عاداتهم وثقافتهم الإسلامية في بلاد المغرب، حيث حولت المجمع البربري إلى مجتمع عربي من الناحية اللغوية والدينية وكذلك الثقافية.

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص337.
[2]- نفسه، ج2، ص17.
[3]- نفسه، ج6، ص338.
[4]- نفسه،ج1، ص151.
[5]- الحسن بن محمد الوزان ، المصدر السابق، ج1، ص ص62-63.

4- التأثيرات الحضارية لعرب بني هلال

ارتبط زحف قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب بحالة واسعة من الدمار والنهب وسفك الدماء، وهي الصورة القاتمة التي نقلها معظم المؤرخين، ولا سيما القدماء منهم، وفي مقدمتهم "ابن خلدون"، فقد أحدث العرب الهلاليون تخريبًا واسع النطاق في مختلف أنحاء بلاد المغرب[1]، خاصة خلال المراحل الأولى من تقدمهم، حيث دخلوا من جهة "برقة" واستقر بعضهم بها، مستوطنين أراضي زراعية خصبة تتماشى مع نمطهم البدوي وتلبي احتياجاتهم المعيشية. [2]

وقد اتسم سلوكهم في تلك المناطق بالعدوانية، إذ كانوا يعيثون في السهول خرابًا، ويشنون حملات نهب وابتزاز طلبا للغنائم، وقد شبّه المؤرخون آثار أعمالهم التخريبية بالإعصار العنيف الذي يقتلع كل ما يعترض طريقه من أشجار ومنازل، وبالحريق التي تحول كل ما حولها إلى رماد تذروه الرياح[3]، وكان أثرهم في الحضارة المغربية عميقا ومدمرا، إذ طال خرابهم المباني ومراكزهم وأمكنة نشاط سكان المغرب، ومختلف أوجه الحياة اليومية للسكان.

يقدم "ابن خلدون" وصفا واضحا لتداعيات الغزو الهلالي على النسيج الحضاري والعمراني لبلاد المغرب، خصوصا في مرحلة حصار "القيروان"، التي كانت من أعظم الحواضر الإسلامية في المغرب الأوسط، فقد طال الحصار المدينة زمنا طويلا، ومعه بدأت ملامح التدهور الحضاري تتسارع، إذ تعرضت القرى والضواحي المحيطة بالقيروان لدمار شامل بفعل الفوضى والعيث الذي أحدثته القبائل الهلالية[4].

أما داخل القيروان، فقد أدى تزايد النازحين من الريف إلى احتقان اجتماعي واقتصادي، واختلطت معاناة السكان بالنهب الداخلي، ما أفقد المدينة طابعها الحضاري المميز كمركز علم وتجارة وفكر، وطمسوا معالم قصورها وما تحتويه من روائع وتحف[5].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20.

[2]- خديجة بورملة، **التغييرات السياسية والعسكرية والاقتصادية بالمغرب الأوسط في ظل الهجرة الهلالية"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، 02، (2025)، ص401.

[3]- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، (تح): محمد الميلي، (الجزائر، دار الكتاب العربي، 2007)، ج2، ص186

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19.

[5]- نفسه، ص20.

نفهم من هنا بأن هذا النزوح الهلالي منذ الوهلة الأولى، كانت له تأثيرات حضارية خطيرة على بلاد المغرب، واستمر هذا التأثير بوجودهم وتزايدهم وتغيير مواطنهم وتقسيمهم لهذه البلاد[1]، وتتجلى كارثة حضارية أخرى في وصف "ابن خلدون" للنتائج المترتبة على تعرض قلعة بني حماد، التي تعتبر مركز السلطة الحمادية، لهجوم مباشر وحوصرت ثم خربت أطرافها، وتم إسقاط بُنيتها المعمارية، وتدمير مساكنها ومرافقها، ولم تقف موجة التخريب عند حدود القلعة، بل اتسعت لتشمل مدينة طبنة والمسيلة، حيث كانوا من أهم الحواضر الزيرية لتلك الفترة، فمدوا أيديهم لهما لتخريب عمارات مدنهما والإفساد ونهب مزارعهما وحقولهما ونشر الخراب في قراهما وأريافهما وقطع السابلة على العابرين والتجار[2].

لقد استخدم "ابن خلدون" تعابير ذات دلالة شديدة، مثل قوله «فتركوها قاعًا صفصفًا، أقفر من بلاد الجن، وأوحش من جوف العير»[3]، وهي تعبيرات ترمز إلى فراغ عمراني كامل، حيث لم تبق معالم حضرية تذكر في تلك المناطق بعد اجتياح العرب لها كما يشير إلى أساليب التدمير التي صاحبت الاجتياح، مثل تغوير المياه، واحتطاب الشجر، وهي مظاهر تدمير متعمد للمجال الذي تعتمد عليه الحواضر، وقد ترتب على هذا الخراب المتواصل هجرة النخبة الحاكمة نفسها من الحواضر، وهو ما يتجلى في نزوح "الناصر بن علناس" من القلعة[4]، بعد أن أصبحت غير آمنة، واتجاهه نحو بجاية على الساحل، في الجبال الوعرة، لمناعته وكثرة الحواجز الجبلية التي تحول دون أن تبلغه خيلهم.[5]

فبعد ما كانت القلعة الحمادية منارة للحضارة والإشعاع الثقافي تستقطب النخب ورجال العلم والتجار وكذلك أرباب الصنائع من كل حدب وصوب، أخذت مكانتها الحضارية والثقافية تتلاشى شيئا فشيئا واشراقها العلمي يختفي بشكل تدريجي بعد الانتشار

---

[1]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (تح): عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1997)، ج11، ص326.
[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص25.
[3]- نفسه، ص24.
[4]- نفسه، ص ص 25،26.
[5]- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، (تع): سعد زغلول عبد الحميد، ط2، (العراق، دار شؤون الثقافة العامة، 1985)، ص129.

الهلالي بضواحيها وتضييقهم على مسالكها[1]، كما يشارك "الإدريسي" حول كشف "ابن خلدون" لمخلفات الانتشار الهلالي بالمغرب، ويخبرنا بتفاصيل الضرر الذي خلّفوه بالحصون الواقعة على الطريق بين منطقة "بجاية" و"القلعة" بوادي الملح وحصن النوضور، ويكشف لنا على خريطة المخلفات السيئة على حضارة بلاد المغرب[2].

على غرار ما وصفه "ابن خلدون" للطابع العدائي والسيئ للعرب الهلالية على الحضارة في بلاد المغرب خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، يشيد في مواضع أخرى بالدور الهلالي في المنطقة، ويثني ثناءا حسنا على دور هذه العائلة الهلالية التي استطاعت أن تؤثر على تاريخ الحضارة ببلاد المغرب، حيث نجحوا في بناء بعض الجمهوريات والإمارات العربية المستقلة في بعض مدن بلاد المغرب، فبنوا جامع من "رياح" بمدينة "قابس"[3]، وبنوا فيها كذلك إمارة "بني جامع" وهي أشهر إماراتهم، فجعلوا "قابس" حاضرة صغيرة منظمة، يقصدها الشعراء لمدح الأمراء ورجال حاشيتهم في المناسبات والأعياد[4]، وفي نفس الوقت استطاعوا الاستيلاء على سوسة وبناء إمارة مستقلة بها، كما ظهرت بعض الإمارات العربية ببسكرة والزاب وإمارات بلاد الجريد، ونجحوا في تثبيتها وتنظيمها.[5]

ونتيجة لهذا نلاحظ أن دخول عرب بني هلال إلى بلاد المغرب ارتبط في بدايته بدمار واسع وتخريب سيء للحواضر والمدن الكبرى لبلاد المغرب مما أدى إلى انهيار عمراني وحضاري واضح، إلا أن آثارهم التخريبية لم تدم طويلا حتى أصبحوا يسعون في نواحي البلاد، وأنشأوا إمارات قوية ونجحوا في ازدهارها وتنظيمها، وتدخلوا في العديد من مجالات البلاد وعمروها، ووسعوا نطاق البلاد بين التل والصحراء.

---

[1]- حسن علي حسن،**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، (القاهرة، مكتبة الخناتجي، 1980)، ص308.

[2]- محمد بن محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، (القاهرة، مكتبة الثقافية الدينية، 2002م)، ج1، ص ص 263،264

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص221.

[4]- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر، المرجع السابق، ص 274.

[5]- نفسه، ص 277.

يتضح من هذا الفصل أن ابن خلدون من أعظم مؤرخي الإسلام والعالم كونه مثل مدرسة تاريخية خاصة لها قواعدها، وأن الهجرة الهلالية مثلت محطة حاسمة في تاريخ المغرب، إذ لم تكن مجرد تحرك قبلي عابر، بل عملية أعادت تشكيل البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية للمنطقة، ففي بداياتها خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اتسمت بالعنف والتخريب الذي أدى إلى تفكك الدول وتراجع الزراعة والتجارة، كما أبرز ابن خلدون.

الفصل الثالث

الرد على ابن خلدون وحقيقة التواجد الهلالي بالمغرب الأوسط

شهدت الفترة التي تناولها ابن خلدون في مؤلفاته تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة في المغرب الاسلامي، كان أبرزها الهجرة الهلالية وما ترتب عنها من آثار متباينة، وقد قدم ابن خلدون قراءة شاملة لهذه الرحلة، غير أن أحكامه لم تخل من التعميمات التي حملت أبعادا سلبية تجاه العرب الهلاليين، فوصفهم في بعض المواضع بأنهم قوة تخريبية لا تخضع لسلطة، وربط سلوكهم بالنهب والسلب وانعدام الانضباط، هذه الرؤية، وإن كانت جزءا من تفسيره للتاريخ وفق منهجه في العمران البشري، إلا أنها أثارت جدلا واسعا بين الباحثين، فهل ما ذهب إليه ابن خلدون حول بني هلال صحيح وله ما يؤيده تاريخيا؟.

أولا: الرد على ابن خلدون في نظرته السياسية والعسكرية

إن المتأمل في خطاب ابن خلدون حول العرب الهلالية يلحظ نزعة تحاملية واضحة، حيث ربط ظهورهم في المغرب الأوسط بانتشار الفوضى وخراب العمران، مصدرا حكما عاما يستند إلى خلفيات حضرية نخبوية، فابن خلدون بصفته فقيها ومؤرخا عاش في بلاط الدولة، عبر عن موقف سياسي متمثل في خوفه من تهديد البدو لنظام الدولة المركزية، وهو ما دفعه إلى جلب كل مظاهر الاضطراب وربطها بطبيعة القبائل الهلالية باعتبارها "مفسدة للعمران" و"عدوة للاستقرار"[1]، وقد كان لهذا الحكم تأثير بالغ على كثير من مؤرخي العهد الاستعماري، خاصة المستشرقين الذين اعتبروه تحليل ابن خلدون مرجعية لتبرير الطرح القائل بتخلف البنية الاجتماعية العربية، البدوية، وضرورة تهديمها عبر المشروع الاستعماري الغربي.[2]

لقد شكلت نظرية ابن خلدون أداةً صالحة للاستعمار، حيث عمل المستشرقون على إعادة توظيفها ضمن خطاب استشراقي يهدف إلى تشويه العنصر العربي، وإبرازه في صورة "الرحل المتخلفين" غير القادرين على إقامة نظام سياسي مستقر، لتبرير الهيمنة الغربية تحت ذريعة التهديم والتحديث[3]، وهذا ما يؤكده الباحث "علي أومليل" حيث يبين

[1]- علي أومليل، **السلطة الثقافية والسلطة السياسية**، ط1، (بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، 1996م)، ص85.
[2]- علي أومليل، **الخطاب التاريخي–دراسة لمنهجية ابن خلدون**-، ط3، (المغرب، دار البيضاء، 1985م)، ص91.
[3]- إدوارد سعيد ، **الاستشراق**، تر: كمال أبوديب، ط4، (بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 2003م)، ص ص 167-170.

أن مؤرخي الاستعمار قد اتكأوا اعتمادا مطلقا على ابن خلدون، واستثمروا نظرته في بناء تصورات دون مساءلة سياقاتها السياسية والاجتماعية. [1]

وفي مقابل هذا الطرح، يجدر التأكيد على أن الهجرة الهلالية إلى المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، لم تكن غزوا قبليا همجيا كما صوره ابن خلدون، بل كانت نتيجة لتحولات سياسية داخلية في المشرق الإسلامي، فقد اتعت السلطة الفاطمية آنذاك سياسة الاقطاع السلطاني، التي تقوم على منح أراض للقبائل الموالية كوسيلة لضرب القوى المعارضة، وهو ما يعني أن الهلاليين استقدموا إلى المغرب في إطار توظيف سياسي لا بفعل طبيعتهم كما زعم ابن خلدون. [2]

علاوة على ذلك، فإن أي غزو أو هجرة جماعية، مهما كانت دوافعها، لابد أن تحدث آثار سلبية مرحلية في المنطقة المستقبلية، كما حصل في الأندلس عقب الغزو القوطي، أو في المشرق بعد الغزو المغولي[3]، غير أن تعميم ابن خلدون لمراكمات الفوضى على العرب وحدهم ينطوي على اختزال مخل، يغفل العوامل البنيوية لسقوط الدول، كضعف السلطة، وصراع المصالح، والتحولات المناخية والاقتصادية.

ويرى المؤرخ خالد كبير علال أن قول ابن خلدون: «إذا تغلبوا على الأوطان تسرع إليها الخراب...» [4]، يعد من المجازفات غير الدقيقة، لأن العرب قد أقاموا دولا طويلة الأمد في الجاهلية وبعد الإسلام[5]، وهو ما يدحض التعميم الخلدوني، ويظهر الطابع السياقي الذي تجاهله الكثير من المؤرخين.

إن إعادة قراءة نظرية ابن خلدون في ضوء السياق السياسي الذي كتب فيه، وفي ضوء توظيفها في الخطاب الاستشراقي، تمكن من تفكيك النزعة الأحادية التي حكمت تصوره للقبائل العربية، وتشكف أن ما اعتبره تخريبا كان في الأصل نتيجة لتداخل السلطة القبلية، ولا طبيعة فطرية للعرب.

---

[1]- علي أومليل، **الخطاب التاريخي**، المرجع السابق، ص94.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون (ت808ه)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: محمد علي بيضون، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، ج6، ص20.

[3]- خالد كبير علال، **أخطاء ابن خلدون في كتابة المقدمة**، ط1، (الجزائر، دار الإمام مالك، 2005)، ص78.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص187.

[5]- خالد كبير علال، المرجع السابق، ص79.

بالإضافة إلى القطيعة السياسية التي وقعت بين الدولة الزيرية وحلفاءها الفاطميين، شكلت عاملا رئيسيا في دفع الفاطميين إلى ترحيل المجموعات القبلية الهلالية نحو المغرب الإسلامي[1]، ولا يمكن في ضوء ذلك تحميل هذه القبائل وحدها كامل مسؤولية ما لحق بمدن وعمران المغرب من خراب وتدمير، إذ إن الأحداث التاريخية عادة ما تكون نتيجة تفاعل معقد بين عدة أطراف وظروف، ومن هنا فإن دراسة تأثير الهلاليين تقتضي النظر أيضا في أوطانهم الاولى التي وفدوا منها وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية قبل الترجيل.

فضلا عن الدور الذي لعبه أمراء صنهاجة، سواء فرعهم الزيري في إفريقية أو الحمادي في المغرب الاوسط، دورا ملحوظا في استمالة القبائل العربية واستقطابها لخدمة أهدافهم السياسية والعسكرية[2]، فقد استعانوا بهذه القبائل في حروبهم الداخلية وصراعاتهم مع القوى المنافسة، مستغلين قوتها القتالية وقدرتها على الحشد السريع غير المفارقة تكمن في أن النتائج السلبية التي ترتبت عن تلك التحالفات، وما لحق بالمناطق من اضطراب أو تراجع عمراني، غالبا ما جرى تحميلها للعرب وحدهم ووصفوا بأنهم عنصر تخريب، في حين تم تجاهل مسؤولية القوى السياسية التي وظفتهم لمصالحها الخاصة.

أما من الناحية العسكرية، فقد صور ابن خلدون الهلاليين كعامل من عوامل الفوضى والانهيار العسكري والسياسي، مرجعا ضعف الدولة وانهيار العمران إلى عيثهم وتخريبهم للمدن والحواضر، غير أن هذا التصور، يفتقد إلى التوازن، إذ يغفل أن الهلاليين كانوا في الواقع فاعلا عسكريا رئيسيا في كثير منا لمواجهات التي عرفها الغرب الإسلامي، بل تم استيعابهم في البنى السياسية القائمة تدريجيا، فقد استعملهم الزيريون أنفسهم كقوة ردع، كما استعان الموحدون بعناصرهم لاحقا في معارك توحيد المغرب الإسلامي، ما يدل على أنهم لم يكونوا مجرد قوة فوضوية، بل تحولوا إلى أداة عسكرية فاعلة ضمن تحولات سياسية أكبر[3].

---

[1]- أحمد بلخير، عبد القادر بوعقادة، **"القبائل العربية بالمغرب الإسلامي، (ق5ه/11م) التواجد الهلالي بين القطيعة السياسية والأزمة الاقتصادية"**، مجلة الأحياء، 30، (جانفي 2022)، ص951.

[2]- أحمد بلخير، المرجع السابق، ص952.

[3]- علي أومليل، **الخطاب التاريخي**، المرجع السابق، ص94.

ثم إن الطابع الغزوي الذي وصف به الهلاليون، لا يختلف من حيث الشكل عن الأساليب التي مارستها القوى السياسية الأخرى، سواء من البربر أو غيرهم في سياق صراعات السيطرة والنفوذ، فالانتقال من السلطة المركزية إلى التمركز القبلي لم يكن نتيجة حصرية للهلاليين، بل جاءت في سياق تراجع مشروع الدولة وصراع مكوناتها الداخلية، كما أن الأساليب العسكرية التي اعتمدتها القبائل العربية كانت مطابقة للمنطق العسكري السائد آنذاك، وبالتالي فإن تحميل الهلاليين وحدهم وزر الفوضى العسكرية هو تجريد للواقع من تعقيده، وإسقاط لأحكام قيمية على ظواهر تاريخية مركبة[1].

في الأخير يمكن أن نستنتج أن نظرة ابن خلدون السياسية والعسكرية تجاه الهلاليين، والتي انطوت على طابع سلبي وتحاملي، لم تكن مجرد موقع وصفي لتاريخ الغزو الهلالي فحسب، بل كانت انعكاسا لرؤية حضرية سلطوية، نتزع إلى تقديس الاستقرار السياسي وتدين كل مظاهر الفوضى والاضطراب، دون تفكيك موضوعي للأسباب البنيوية التي ساهمت في تلك الاضطرابات، وقد أدى هذا الخطاب إلى ترسيخ صورة نمطية عن العرب البدو باعتبارهم عنصرا مخربا، وهي صورة وجدت طريقها لاحقا إلى الفكر الاستشراقي، حيث استغلها عدد من المستشرقين كذريعة أيديولولجية لتبرير التدخل الاستعماري تحت غطاء التمدين والتحضير.

كما أن التحميص النقدي لهذه النظرة يكشف عن ضرورة إعادة قراءة الغزو الهلالي ضمن سياق سياسي أوسع، يتمثل في هشاشة الدولة الصنهاجية، وتبنيها سياسات إقطاعية قائمة على استقدام القبائل الموالية لخلق توازنات سلطوية، وقد أثبتت هذه الدراسة ان وجود العرب الهلالية لم يكن بالضرورة عامل هدم، بل ساهموا في مراحل لاحقة في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والسياسية للمغرب الأوسط، وأسهموا في اندماج تدريجي في الحياة الحضرية رغم الطابع القبلي لوجودهم، وإن الرد على ابن خلدون لا يعني نفي ملاحظاته كليا، بل التأكيد على أهمية نقدها بوصفها إنتاجا معرفيا مشروطا بزمانه وموقفه، وإبراز كيف تحول هذا الخطاب إلى أداة لتوظيف السياسي والفكري في مرحلة الاستعمار وما بعدها، ما يستدعي تطوير قراءة مغايرة تنصف للحقيقة التاريخية وتعترف بتعددية الفاعلين في صناعة التاريخ المغاربي.

[1]- علي أومليل، **الخطاب التاريخي**، المرجع السابق، ص97.

ثانيا: الرد على ابن خلدون في نظرته للتأثيرات الاقتصادية

ينظر ابن خلدون إلى الهجرة الهلالية إلى المغرب الإسلامي من منظور اقتصادي يعزو لها دورا سلبيا في تخريب المدن والاقتصاد، معتبرا أن هجرة هذه القبائل كانت بدافع سياسي بحت، وهو تصور يركز على الفوضى التي أحدثها الهلاليون في الأراضي المغاربية، ومع ذلك يبرز العديد من الباحثين المعاصرين وجهة نظر مخالفة تؤكد أن دافع الهلاليين الأساسي كان اقتصاديا، حيث كانوا يبحثون عن المراعي والكلأ الضروريين لاستمرار معيشتهم الرعوية والزراعية، وهو امر يدعمه "عمر أبو النصر" الذي يشير إلى أن الهلاليين كانوا يبحثون عن موارد عيش جديدة، وليسوا غزاة يهدفون فقط على التخريب والنهب. [1].

هذا التفسير يعكس أهمية النظر إلى الهجرة الهلالية في إطارها الاقتصادي، باعتبارها حركة بشرية كبرى دفعتها أزمة موارد شاملة ضربت أجزاء واسعة من العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ والحادي العشر للميلادي، فقد شهدت منطقة البحر المتوسط بما فيها مصر والمغرب، اضطرابات اقتصادية متلاحقة تمثلت في فترات جفاف ومجاعات متكررة، وانخفاض الانتاج الزراعي، وتراجع عائدات التجارة نتيجة اضطراب طرق القوافل والموانئ، هذه الظروف جعلت القبائل البدوية، وعلى رأسها القبائل العربية الوافدة من صعيد مصر، تبحث عن مجالات جديدة للعيش والموارد، وهو ما دفعها إلى التوجه نحو المغرب الإسلامي، ومن هنا فإن ما فسره "ابن خلدون" على أنه نزعة فطرية نحو النهب والسلب يمكن قرائتها من منظور آخر، باعتباره استجابة اقتصادية قصرية لظروف بيئية وتجارية خانقة، تتقاطع مع ما شهده الحوض المتوسط بأسره من أزمات اقتصادية في تلك الفترة.[2]

أما وصف "ابن خلدون" للعرب عموما، فقد جاء في قالب سلبي للغاية، إذ صنفهم كأمة متوحشة همها النهب والسلب سواء بدوا أو حضرا، وهو تعميم يخلط بين أطياف المجتمع العربي المختلفة دون تمييز، مما يجعل تقييمه غير موضوعي[3]، وقد وصف

[1]- عمر أبو النصر، **تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة**، ط1، (بيروت، دار عمر أبو النصر، 1971م)، ص16.
[2]- أحمد بن بلخيري، المرجع السابق، ص984.
[3]- خالد كبير علال، المرجع السابق، ص77.

القبائل الهلالية بكثرتها وانتشارها الواسع كالجراد المنتشر[1]، وهو وصف يشير إلى حجمهم لكنه لا يعكس دوافعهم الحقيقية في الهجرة التي كانت تتمحور حول البحث عن اراضي جديدة صالحة للرعي والزراعة. [2]

ويؤكد خالد كبير علال أن الشعوب بما فيها العرب، تمر بدورات تاريخية متعاقبة من النهوض والانكسار، شأنها في ذلك شأن جميع الأمم والحضارات عبر التاريخ.

ومن ثم فإنه من غير المنهجي تحميل أمة بعينها مسؤولية حتمية للسقوط أو التخلف وكأن ذلك صفة ثابتة في بنيتها الثقافية أو الاجتماعية[3]، فمسار التاريخ تحكمه شبكة معقدة من العوامل المتداخلة تشمل الأوضاع الاقتصادية، والتحولات السياسية، والصراعات العسكرية، والظروف البيئية، فضلا عن التفاعلات الثقافية والدينية، هذه العوامل تتضافر أو تتعارض لتحدد موقع أي شعب على سلم الحضارة في فترة معينة، مما يجعل الأحكام المطلقة، كحكم "ابن خلدون" على العرب بأنهم بطبيعتهم ميالون إلى النهب والسلب، أحكاما تتجاهل الطبيعة المتغيرة للحضارات، ومن هذا المنظور يصبح من الضروري قراءة سلوكات العرب في مرحلة الهجرة الهلالية ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي، بدل عزلها عن بيئتها وإسقاطها كمعطى ثابت عبر الزمن.

كما يرفض خالد كبير علال توصيف "ابن خلدون" للعرب بأنهم لا يخضعون لأي سلطة[4]، معتبرا أن هذا الحكم لا يصح إصداره على أي شعب، أو أمة، إذا تخضع جميع المجتمعات البشرية، بدرجات متفاوتة للأشكال من السلطة والتنظيم، سواء سلطة سياسية أو دينية أو قبلية او عرقية. [5]

هذا يعني أن مستوى انضباط الشعوب وتفاعلها مع هذه السلطات يتأثر بطبيعة الظروف التي تعيشها، ففي أوقات الاستقرار والرخاء، تميل المجتمعات إلى الخضوع للأنظمة حكم أكثر تنظيما، بينما في فترات الأزمات أو النزاعات تزداد النزعة إلى الاستقلالية أو العصيان، وعليه فإن إخضاع العرب في عصر الهجرة الهلالية لهذا الوصف المطلق يتجاهل تعقيد بنية السلطة لديهم، والتي تنوعت بين زعامات قبلية

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص17.
[2]- أحمد بن بلخيري، المرجع السابق، ص950.
[3]- خالد كبير علال، المرجع السابق ، ص77.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص149
[5]- ابن خالد كبير علال، المرجع السابق، ص77.

وتحالفات عشائرية وأعراف ملتزمة، وهو ما يؤكد أن رفض الانقياد التام لأي سلطة لم يكن طبيعة أصلية بل نتاجا لسياقات تاريخية واجتماعية خاصة.

وتدعم "فوزية كرراز" هذا الطرح بقولها إن الجوع والأزمات الاقتصادية كانا الحافز الاكبر للهجرة الهلالية نحو المغرب قبل القرن الخامس للهجرة، مما يسلط الضوء على الجانب الاقتصادي والإنساني لهذه الهجرة بعيدا عن التوصيفات السطحية[1].

يجدر التنويه إلى "ابن خلدون" رغم بعده الزمني، أصبح مرجعا هاما لدى المستشرقين الذين وظفوا كتاباته لتعزيز صورة سلبية للهلاليين، حيث اعتبروهم سببا رئيسيا في خراب المدن وتدهور الاقتصاد، مستغلين هذه النظرة في أيدولوجياتهم الاستعمارية التي استهدفت تدمير البنية الثقافية والفكرية للعالم العربي[2]، ليس فقط سياسيا وعسكريا واقتصاديا، بل أيضا على المستوى الثقافي والفكري من خلال تكريس صورة سلبية عن الذات العربية، وبذلك أسهمت كتابات "ابن خلدون" عن قصد أو دون قصد في بناء خطاب استشراقي استعماري وجد في الماضي ما يبرر سياسته في الحاضر.

ويجب أيضا وضع هذه الأحداث في سياق أوسع، إذ يؤكد "عبد الله العروي" أن التراجع الاقتصادي والحضاري الذي شهدته بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري، لا يمكن فصله عن الظروف العامة التي مرت بها منطقة البحر المتوسط، حيث كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية متقلبة، مما ساهم في تفاقم الازمات المحلية[3].

علاوة على ذلك، يبرز دور الهلاليين ليس فقط كقوى تخريبية، بل كمساهمين في تعريب المغرب والمشاركة في الجهاد ضد الغزاة الأوروبيين مثل الرومان والنصارى، وفقا "لحسين مؤنس" الذي يرى أن الغزو لم يكن شرا مطلقا، بل نتج عنه خير كثير من الناحية الثقافية والدينية. [4]

وعند تفسير السلوك البدوي، يربط "ابن خلدون" بين ظاهرة النهب والسلب وبين ظروف اضطرارية فرضتها طبيعة الحياة في البيئات الصحراوية، فالمسافات الطويلة التي

---

[1]- فوزية كرراز، **"السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي"**، مؤسسة كان التاريخية، 12، (جوان 2011)، ص52.
[2]- أحمد بن بلخير، المرجع السابق، ص112.
[3]- عبد الله العروي، **مجمل تاريخ**، (بيروت، الدار البيضاء، 2000)، ج2، ص113.
[4]- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ط5، (القاهرة، دار الرشاد، 2005) ، ص177.

يقطعها البدو، مع محدودية ما يحملونه من مؤن وإمدادات، كانت كثيرا ما تؤدي إلى نفاذ مواردهم قبل الوصول على مقصدهم، الأمر الذي يدفعهم أحيانا إلى الحصول على حاجاتهم بالقوة من المجتمعات المستقرة، وإلى جانب ذلك، كانت التجارة المنظمة بين البدو والحضر شبه معدومة، سواء بسبب انعدام الثقة المتبادلة أو بسبب غياب شبكات تبادل تجاري آمنة ودائمة، مما جعل فرص التبادل السلمي محدودة. [1]

وبهذه المعطيات، يصبح النهب في بعض الحالات وسيلة للبقاء أكثر من كونه سلوكا عدوانيا فطريا، إذا كان ناتجا مباشرة لواقع اقتصادي واجتماعي مضطرب، وهذا التفيسر يسمح بفهم الظاهرة في سياقها التاريخي بدل إسقاطها كتعميم مطلق على البدو، ويظهر أن العوامل المعيشية والبنى الاقتصادية لعبت دورا حاسما في تشكيل أنماط السلوك خلال تلك المرحلة.

ومن خلال هذا التحليل يتضح أن النظرة التي قدمها "ابن خلدون" عن الهلاليين تحمل تاريخيا واجتماعيا يعكس بيئته وموقعه، وأن تقييم حركة الهلاليين يجب أن يكون متعدد الأبعاد، يأخذ في الحسبان السياق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، لا يغفل التأثير الاستعماري في إعادة إنتاج هذه الصورة السلبية، التي شكلت جزءا من خطاب استعماري استهدف تحطيم الهوية العربية والبدوية فكريا وثقافيا.

وعليه يمكن القول إن إعادة قراءة الدور الاقتصادي للهلاليين في المغرب الإسلامي، بعيدا عن النظرة التقليدية المحملة بالتحامل، تؤكد أن هجرتهم لم تكن نزعة تخريبية بل كانت استجابة طبيعية لأزمات اقتصادية واجتماعية معقدة، ساهمت في إعادة تشكيل النسيج الاجتماعي والثقافي للمغرب، كما أن استغلال المستشرقين لتوصيف "ابن خلدون" من أجل تشويه صورة العرب والهلاليين يعكس محاولات استعمارية ممنهجة لتبرير الهيمنة الغربية عبر إضعاف القيم والهوية الثقافية المحلية، لذلك فإن قراءة تاريخ الهلاليين ينبغي أن تكون منفتحة على تعدد العوامل وتراكم التفسيرات الموضعية، مع إدراك الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شكلت هذه الهجرات وأثرها في التاريخ المغربي.

[1]- أحمد بن بلخير، المرجع السابق، ص69.

ثالثا: الرد على ابن خلدون في نظرته الاجتماعية والثقافية للهلاليين

على الرغم من الجوانب السلبية التي ارتبطت بهجرة قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب، والتي شملت التخريب والاضطرابات السياسية والاقتصادية، إلا أن هذه الهجرة شكلت حدثا ذا اهمية قصوى، أثر بعمق في تركيبة المجتمع المغربي وهويته الثقافية واللغوية. [1]

لقد أدت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب إلى إدخال عنصر بشري ضخم، كان له أثر بالغ في تغيير البنية السكانية وإحداث تحولات جذرية في التكوين السلالي للمجتمع المغاربي، ولم يقتصر تأثير هذه الهجرة على الجانب الديمغرافي فحسب، بل امتد ليشمل المجال الثقافي واللغوي، إذ ساهمت القبائل العربية في ترسيخ الحضور اللغوي العربي في مناطق واسعة من المغرب خاصة في القرى البربرية النائية التي لم تكن قد اندمجت بعد في بعض المناطق، مما أسهم في صياغة لهجات محلية ذات طابع مميز يجمع بين الإرث اللغوي العربي والبربري[2]، هذا التفاعل اللغوي والثقافي لم يكن مجرد ظاهرة لغوية، بل كان جزءا من عملية أوسع للتعريب ونشر القيم الإسلامية، ما عزز وحدة الهوية الثقافية في المنطقة، رغم ما صاحب ذلك من تغيرات اجتماعية عميقة. [3]

كما ينبغي الانتباه إلى أن الهجرة لم تقتصر على المقاتلين فقط، بل شملت نساء وأطفالا وضعفاء، وفي بعض الحالات توقف بعض الأفراد عن إكمال الرحلة بسبب ضعفهم، مما جعل المبالغة في تصوير الخراب الذي حل بالمناطق بسبب هذه الهجرة أمرا غير دقيق، خصوصا أن المنطقة كانت تعاني أصلا من اضطرابات سياسية واقتصادية قبل وصولهم.

إضافة إلى ذلك، يشير المؤرخ "أبو قاسم سعد الله" إلى أن بعض الأحداث المأساوية التي عرفها المغرب، مثل ثورة الكاهنة التي حرقت المزارع وخربت المباني، ولا يمكن النظر إليها بمعزل عن السياقات السياسية والعسكرية الأوسع التي كانت سائدة آنذاك. [4]

---

[1]- صالح أحمد صالح، **"الدور الاجتماعي والثقافي لقبائل بني هلال في بلاد المغرب"**، مجلة العراقية الأكاديمية العلمية، 11، (11-08-2020م)، ص224.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، (بيروت، دار النهضة العربية، 1981م)، ص672.

[3]- صالح أحمد صالح، المرجع السابق ص224.

[4]- أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**، ط1، (الجزائر، عالم المعرفة، 2015م)، ج2، ص283.

فقد ارتبطت هذه الوقائع بسياسات القمع والعنف التي انتهجتها الدولة الفاطمية في سعيها لفرض هيمنتها وبسط نفوذها على المنطقة، وهو ما يفتح المجال للتشكيك في الرواية التي تُحمّل بني هلال وحدهم مسؤولية تلك الأفعال، إن إلقاء اللوم على الهلاليين بشكل حصري يغفل حقيقة أن القوة الحاكمة –وفي مقدمتها الفاطميون– كانت لها أدوار مباشرة وغير مباشرة في إشعال الصراعات وتغذية أعمال التدمير، مما يجعل الصورة أكثر تعقيدا من مجرد إتمام من طرف واحد. [1]

ومن الناحية الاجتماعية والثقافية شكلت قبائل بني هلال عاملا محوريا في إحداث تحولات جوهرية داخل المجتمع المغربي الإسلامي، إذ أدخلت أنماطا بدوية أصلية أثرت في البنية الاجتماعية وأساليب الحياة، فقد جاءت هذه القبائل محملة بخصال مترسخة في ثقافتها، مثل الشجاعة في ميادين القتال، والكرم في المعاملة وروح النجدة، إضافة على النزعة الاستقلالية ورفض الخضوع للسلطة المركزية الصارمة أو الإلتزام بالضرائب المفروضة، وهي سمات تتمايز عن تقاليد السكان المستقرين، الذين اعتادوا على انماط الحكم والتنظيم الحضري[2]، وقد تفاعلت هذه المميزات مع القبائل البربرية في المدن والقرى مما أنتج مزيجا ثقافيا واجتماعيا جديدا، أسهم في إعادة صياغة العلاقات القبلية وأنماط العيش اليومي.

أما من الناحية اللغوية، فقد كان للهلاليين إسهاما بارزا في رسم الخريطة الصوفية واللسانية للمغرب، إذ انتشرت اللهجة الهلالية المتميزة عن لهجة التعريب الأولى التي رافقت الفتح الإسلامي بشكل واسع في الأرياف والمناطق البعيدة عن المراكز الحضارية، ومع مرور الوقت تسللت هذه اللهجة إلى الضواحي وحتى بعض المناطق الحضرية، فأسهمت في إحداث تحول لغوي ملحوظ عزز من حظور الثقافة البدوية في الهوية المغربية. [3]

أما عن المستوى السكاني، فقد شهد المغرب تحولات هامة بعد معركة "حيدران" حيث هاجر بعض السكان إلى شمال المغرب واستقروا هناك، فقد استغل الهلاليون الفراغ

[1]- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص283.
[2]- صالح أحمد صالح، المرجع السابق، ص226.
[3]- مصطفى بن عريب، **مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين (668هـ/1269م) القرن العاشر والثالث عشر ميلادي**، (مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة محمد بوضياف 2017)، ص118.

السكاني بالإضافة عن نقص الموارد الطبيعية، الأمر الذي سهل استقرارهم في مناطق فارغة[1]، وقد أسفر هذا التغير اللغوي والاجتماعي عن تعزيز حضور الثقافة البدوية داخل النسيج المغربي، مما أدى إلى تراجع النمط الريفي التقليدي الذي كان سائدا في المناطق، نتيجة لذلك برز في المجتمع المغربي نمطان متباينان، من جهة النمط الحضري المستقر الذي يتجذر في المدن ويعتمد على الزراعة والتجارة، ومن جهة أخرى النمط البدوي الذي تميز بالتنقل وتربية المواشي وهو نمط يعكس الخصائص التقليدية لقبائل بني هلال وغيرها من القبائل العربية[2].

هذا التوازن بين النمطين أوجد حالة من التفاعل والتأثير المتبادل بين المجتمعات، وهو ما شكل أحد أبرز ملامح التطور الاجتماعي في المغرب خلال تلك الفترة.

أما في مجال التعريب والأسلمة، فقد عزز اليمانيون في المغرب، غير أن دخول بني هلال وبني سليم في القرن الخامس هجري، ساهم بشكل أكبر في تعريب المناطقة الريفية والبادية، حيث كان هؤلاء عربا بدوا ورحلا معظمهم من الصعيد المصري، وقد أسهم هذا التحول في تعميق عملية الاندماج الثقافي بين العرب والبربر بشكل ملحوظ، غذ لم يقتصر الأمر على التعايش فحسب بل تعدى إلى انتشار اللغة البدوية بين المجتمعات البربرية، ما أدى إلى توحيد أكبر من النسيج السكاني، هذا التجانس اللغوي والثقافي ساهم بدوره في بلورة هوية مغربية إسلامية[3].

وبذلك يمكن القول أن الاندماج عاملا جوهريا في صقل الهوية المغربية وتوحيدها في مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة في تلك الفترة.

فقد أكد "الأدريسي" في نزهة المشتاق، هذا الاندماج اللغوي، حيث وصف تحول القبائل إلى جنس واحد نتيجة التعتيش الطويل[4]، وأدت هذه العملية إلى تعريب المناطق الريفية التي كانت في السابق تحت التأثير اللغوي والثقافي بربري قوي، حيث شرع انتشار اللغة العربية وفرضت نفسها كافة التواصل الأساسية في تلك المناطق، هذا التحول لم

---

[1]- راضي دغفوس، **"دور القبائل الهلالية والسليمية في تعريب والأسالمة في أفريقية وبلاد المغرب في اواخر العهد الوسيط"**، أعمال الملتقى الدولي السابع: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط (جامعة تونس، تونس، أفريل، 2012م)، ص162.

[2]- نفسه، ص162.

[3]- نفسه، ص ص 171،169.

[4]- الأدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، المصدر السابق، ج2، ص56.

يكن مجرد تغيير لغوي بسيط، بل شكل انقلابا ثقافيا عميقا أسهم في إعادة تشكيل الهوية الاجتماعية والسياسية للمجتمع المغربي[1].

بفضل تعريب الريف، تم تعزيز اللحمة الثقافية بين مختلف مكونات الشعب المغربي، مما ساعد على توحيد البلاد تحت مظلة الثقافة الإسلامية العربية، وهو أمر كان له انعكاسات مباشرة على الاستقرار السياسي وتعزيز سلطة الحكام الذين استندوا إلى هذه الوحدة الثقافية لتقوية نفوذهم.

لم تقتصر تأثيرات الهجرة الهلالية على الجانب الديمغرافي أو اللغوي فحسب، بل امتدت لتشمل تفاصيل الحياة اليومية والثقافية الاجتماعية في المغرب، فقد شهدت المناطق التي استقر فيها الهلاليون انتشار ملحوظ للعادات والتقاليد العربية التي كانت جديدة على سكان البربر، ومن أبرزها أساليب اللباس كالعمائم والمخيط، والتي أصبحت فيما بعد رموزا ثقافية بارزة في مجتمع المغربي[2]، بالإضافة إلى ذلك فاصلة أدخل الهلاليون تقاليد تربية الخيول التي ارتبطت بالرحل والتنقل، وكذلك عادات التنقل الموسمي التي تعكس نمط الحياة البدوية القائمة على التحرك مع المواسم والموارد الطبيعية[3]، هذه المظاهر الثقافية لم تكن مألوفة لدى القبائل البربرية قبل مجيء الهلاليين، وهو ما ادى إلى تحول ثقافي ملموس في المجتمعات المحلية، عبر تفاعل وتبادل مستمر بين العناصر العربية والبربرية، فشكل بذلك نسيجا ثقافيا متنوعا يعكس تاريخ التلاقح الحضاري بين المجموعتين.

أما من الناحية الأدبية، فقد ترك الهلاليون بصمة ثقافية وأدبية عميقة من خلال الملامح الشعبية التي تعد من أشهر وأبرز مظاهر التراث العربي في المغرب وأهمها "السيرة الهلالية" هذه السيرة، تمثل نموذجا فريدا للأدب الشعبي العربي، إذ تسرد بأسلوب شعري وقصصي مميز، قصص تاريخهم وصراعاتهم، وقيمهم المجتمعية، مما يعكس جوانب كثيرة من هويتهم وثقافتيهم إلى جانب ذلك[4]، لعبت الموسيقى والشعر دورا مهما في

---

[1]- رحالي محمد علي، "بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي، مناطق استقرارها وآثارها من القرن 5ه إلى القرن 7ه/ ن القرن 11م إلى القرن 13م"، (مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 2018، ص212.

[2]- أبوضيف مصطفى أحمد عمر، **أثر القبائل العربية ببلاد المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجماعية، 1982)، ص97.

[3]- عبد الحميد يونس، **الهلالية في التاريخ والأدب التبعي**، (القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، 1956م)، ص ص 255،250.

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص168. عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص84،81.

نقل هذا التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال، خاصة في المناسات الخاصة مثل الصيد أو الاحتفالات، حيث كان العزف الرمزي والقصائد الشعبية وسيلتين فعالتين للتواصل وتوثيق التجاريب الحياتية والهوياتية.[1]

أما من ناحية التعيلم، فرغم طابعهم البدوي، حرصت بطون بني هلال على تعليم أبنائها القرآن الكريم والعلوم الدينية الأساسية معتبرة بذلك جزءا من الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتعزيز مكانتهم الاجتماعية، وقد أولت هذه القبائل أهمية لتكوين جيل قادر على تولي المناصب الدينية والسياسية، مما ساهم في بروز علماء وفقهاء، وأصبحوا مرجعيات دينية مؤثرة في تلك الحقبة[2]، ولم يقتصر دورهم على الجانب التعليمي فقط بل امتد إلى دعم الحركات الدينية الكبرى، وعلى رأسها حركة المرابطين، فضلا عن مساهمتهم في ترسيخ نزعات التصوف، الأمر الذي ساعد على انتشار الإسلام بعمق أكبر في ربوع المغرب وربطه بالقيم الروحية والأخلاقية للمجتمع[3].

وفي ظل هذه المعطيات، يتضح أن الطرح الذي قدمه "ابن خلدون" والذي ركز على الآثار المدمرة للهجرة الهلالية من هدم وخراب، يبقى طرحا جزئيا لا يستوعب التعقيد التاريخي والبعد المتعدد الأوجه لهذه الظاهرة، فالهجرة الهلالية لم تكن مجرد حدث عسكري أو صدام قبلي، بل شكلت تحولا بنيويا في تاريخ المغرب، حيث أعادت صياغة النسيج الاجتماعي عبر إدماج العنصر العربي البدوي مع المكون البربري، وأسهمت في تسريع عملية التعريب ونشر اللغة العربية، فضلا عن تعزيز الهوية الإسلامية وتوسيع المجال المشترك بين العوامل الأساسية والاجتماعية والثقافية والدينية، تمثل ضرورة لفهم أعمق وأكثر شمولا لآثار هذه الهجرة وتفعلها المعقد مع البنية التاريخية للمغرب بعيدا عن التصورات الأحادية التي تختزن التاريخ في بعد واحد.

[1]- مصطفى أبوضيف، المرجع السابق، ص252.
[2]- نفسه، ص269.
[3]- الطاهر بونابي، **"حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط"**، المجلة الخلدونية، 11، ص60.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تناولناه في هذه الدراسة، اتّضح أن بداية هذه الهجرات الهلالية إلى بلاد المغرب الإسلامي في القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي العشر للميلادي، لم تكن حدثًا عابرًا في تاريخ المنطقة، بل شكّلت نقطة تحول حاسمة أعادت رسم الخريطة الديموغرافية والسياسية والاجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي، فقد جاءت هذه الهجرات في سياق تاريخي معقد، اتسم بضعف سلطات الدول بالمغرب، وتفاقم الصراعات الداخلية بين القوى المحلية، مما أفسح المجال أمام القبائل الهلالية، بما تمتلكه من قوة بشرية وتنظيم قبلي محكم، للتمدد والاستقرار في أراضٍ واسعة بالمناطق المغاربية، ويظل العلّامة "ابن خلدون" بما قدّمه من روايات وتحليلات في كتابه الشهير «العبر»، أحد أبرز الشواهد التاريخية التي حفظت تفاصيل هذه المرحلة، على الرغم مما وُجّه إليه من انتقادات تتعلق بموضوعية الطرح ودقة النقل.

إن إعادة قراءة نصوصه في ضوء المعطيات الحديثة، ومقارنتها بالمصادر الأخرى، تكشف عن أبعاد أوسع لفهم تلك الهجرة، بعيداً عن التعميم أو الانحياز، وتؤكد أن دراسة التاريخ تظل عملية مفتوحة قابلة للمراجعة والتصويب، وبذلك قمنا بهذه الدراسة من أجل المساهمة في إثراء النقاش حول أثر الهجرة الهلالية في تشكيل هوية المغرب الأوسط، ويوفر أرضية علمية يمكن البناء عليها لمزيد من الدراسات التي توازن بين الرواية التاريخية والشواهد الميدانية، بما يضمن مقاربة أكثر إنصافا وعمقا لتاريخ المنطقة.

ولأجل بلوغ الهدف المنشود من هذه الدراسة، والوقوف على الإجابة عن الإشكالية المطروحة، ارتأينا عرض جملة من النتائج التي خلصنا إليها، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- أظهرت الدراسة أن دخول قبائل بني هلال للمغرب لم يكن حركة تلقائية، بل جاء نتيجة قرار سياسي مدروس من الدولة الفاطمية التي أرادت معاقبة "المعز بن باديس" بعد انفصاله عنها، وقد استغلت هذه الدولة حالة التشرذم السياسي والانقسامات الداخلية التي كانت تعيشها بلاد المغرب، فدفعت بالقبائل الهلالية بأعداد ضخمة نحو المنطقة، مما أعاد تشكيل الخريطة السكانية على أسس جديدة، هذا المعطى يبيّن أن البعد السياسي كان هو

المحرّك الأساسي للهجرة، وأن آثارها اللاحقة ارتبطت منذ البداية بتوازنات القوى الإقليمية والدولية في ذلك العصر.

– وأكدت الدراسة على أن الآثار التي أحدثتها الهجرة الهلالية كانت مزدوجة، حيث ارتبطت بدايتها بموجة من الاضطراب السياسي والانهيار الاقتصادي، إذ تفككت السلطات وتراجع الإنتاج، وضعفت الحركة التجارية بسبب انعدام الأمن وقطع الطرق، ومع ذلك أظهر تتبع الأحداث أن هذه المرحلة لم تستمر طويلاً، إذ اتجهت القبائل تدريجيا نحو الاستقرار، وبدأت تشكل تحالفات وإمارات، مما سمح بإعادة قدر من التنظيم إلى الحياة العامة، هذه الدينامية الجديدة ساهمت في إعادة توزيع مراكز السلطة وأنتجت أنماط حكم أكثر محلية ومرونة، ولعبت هذه الهجرة دورا حاسما في تعزيز عملية التعريب في المغرب، ليس فقط على مستوى اللغة، وإنما أيضاً على مستوى الثقافة ونمط الحياة، فقد أدى التعايش الطويل بين العرب والبربر إلى تداخل ثقافي واجتماعي أنتج هوية مركبة ذات طابع عربي–إسلامي راسخ، وأصبح العنصر العربي جزءا أساسيا من النسيج الاجتماعي للمغرب الأوسط.

– بينت الدراسة أن نظرة العلّامة "ابن خلدون" حول الهجرة الهلالية لبلاد المغرب، رغم قيمتها العلمية، جاءت مشروطة بسياقها التاريخي والاجتماعي، مما يجعلها تمثل رؤية جزئية أكثر من كونها حقيقة مطلقة، وتحولت هذه النصوص إلى مادة خصبة وظّفها المستشرقون لاحقًا في خدمة الأهداف الاستعمارية، حيث أعيد إنتاج صورة سلبية عن العرب عامة والهلاليين خاصة، من أجل الطعن في هويتهم الثقافية وإظهارهم كقوة تخريبية بدوية.

– إن إعادة قراءة الظاهرة الهلالية خارج هذا الإطار الاستشراقي تكشف أنّ هذه لبهجرة لم تكن مجرد حركة هدم، بل كانت استجابة لأزمات اقتصادية واجتماعية معقدة، أفضت إلى إعادة تشكيل البنية الاجتماعية للمغرب، وساهمت في نشر اللغة وتعزيز الهوية الإسلامية، وبذلك فإن تجاوز الصورة النمطية التي رسخها الخطاب الاستعماري، يفتح المجال لفهم أعمق وأكثر موضوعية لآثار الهجرة الهلالية ضمن مسار التاريخ المغاربي.

* انطلاقًا مما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج حول الهجرة الهلالية وأبعادها المتعددة، كان من الضروري اقتراح بعض التوصيات التي من شأنها أن تعمّق البحث في مثل هذا الموضوع، وأهم توصيات هذه الدراسة:

- ✓ إنّ أول ما ينبغي التأكيد عليه هو ضرورة إعادة قراءة نصوص ابن خلدون قراءة نقدية، بعيدًا عن التسليم المطلق بما أورده، إذ إن تحليلاته رغم قيمتها العلمية تبقى مشروطة بسياقها السياسي والاجتماعي، فقد قدّم الهلاليين في صورة يغلب عليها الطابع التخريبي والبدوي، وهو ما جعل روايته مادة خصبة للمستشرقين الذين أعادوا توظيفها في خدمة الأطماع الاستعمارية، لذا فمن المهم تفكيك هذه الرؤية والبحث في أبعادها الفكرية والخلفيات التي وجّهت صياغتها.

- ✓ كما توصي الدراسة بضرورة الانفتاح على مصادر أخرى موازية لرواية ابن خلدون، سواء من خلال ما ورد عند المؤرخين المسلمين المعاصرين له أو من خلال المصادر الأثرية والشواهد الميدانية، حتى يتسنى رسم صورة أكثر توازناً للهجرة الهلالية، إن الاعتماد على مصدر واحد يجعل النتائج عرضة للانحياز، بينما المقاربة المقارنة تسمح بتجاوز حدود السرد الجزئي وتوسيع دائرة الفهم.

- ✓ ومن جهة أخرى من المهم تجاوز الصور التي اختزلت الهجرة الهلالية في كونها مجرّد فعل تخريبي، والبحث في الجوانب الإيجابية كإسهاماتها على مستوى اللغة والثقافة والهوية التي أهملتها بعض القراءات التقليدية والاستشراقية على حد سواء.

- ✓ وأخيرًا يوصى بضرورة توظيف المناهج الحديثة في دراسة الظواهر التاريخية، كالمناهج الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، لفهم طبيعة التحولات التي أحدثتها الهجرة الهلالية في البنية الاجتماعية والسياسية للمغرب الأوسط، إن مقاربة شمولية من هذا النوع من شأنها أن تضع هذه الهجرة في إطارها الصحيح، باعتبارها ظاهرة تاريخية مركبة، لا مجرد حدث عابر أو غزو خارجي.

قائمة الملاحق

- قائمة الملاحق:

الملحق رقم (01) خريطة توضح توزيع قبائل العرب الهلالية ببلاد المغرب [1]

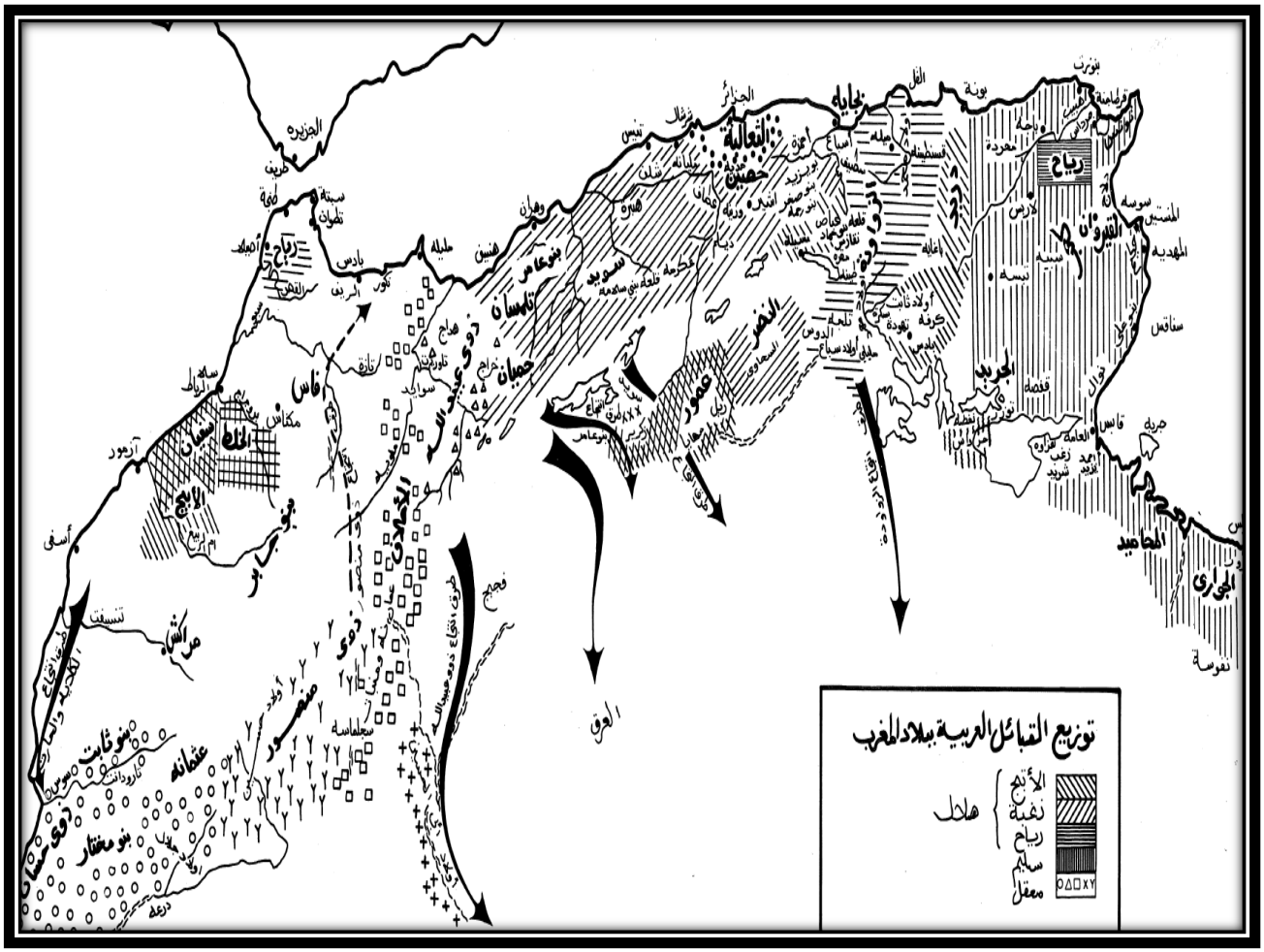

[1]- مصطفى أبوضيف عمر، **أثر القبائل العربية ببلاد المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجماعية، 1982)، ص342.

الملحق رقم (02) مخطط يوضح شجرة نسب قبيلة بني هلال وبطونها [1]

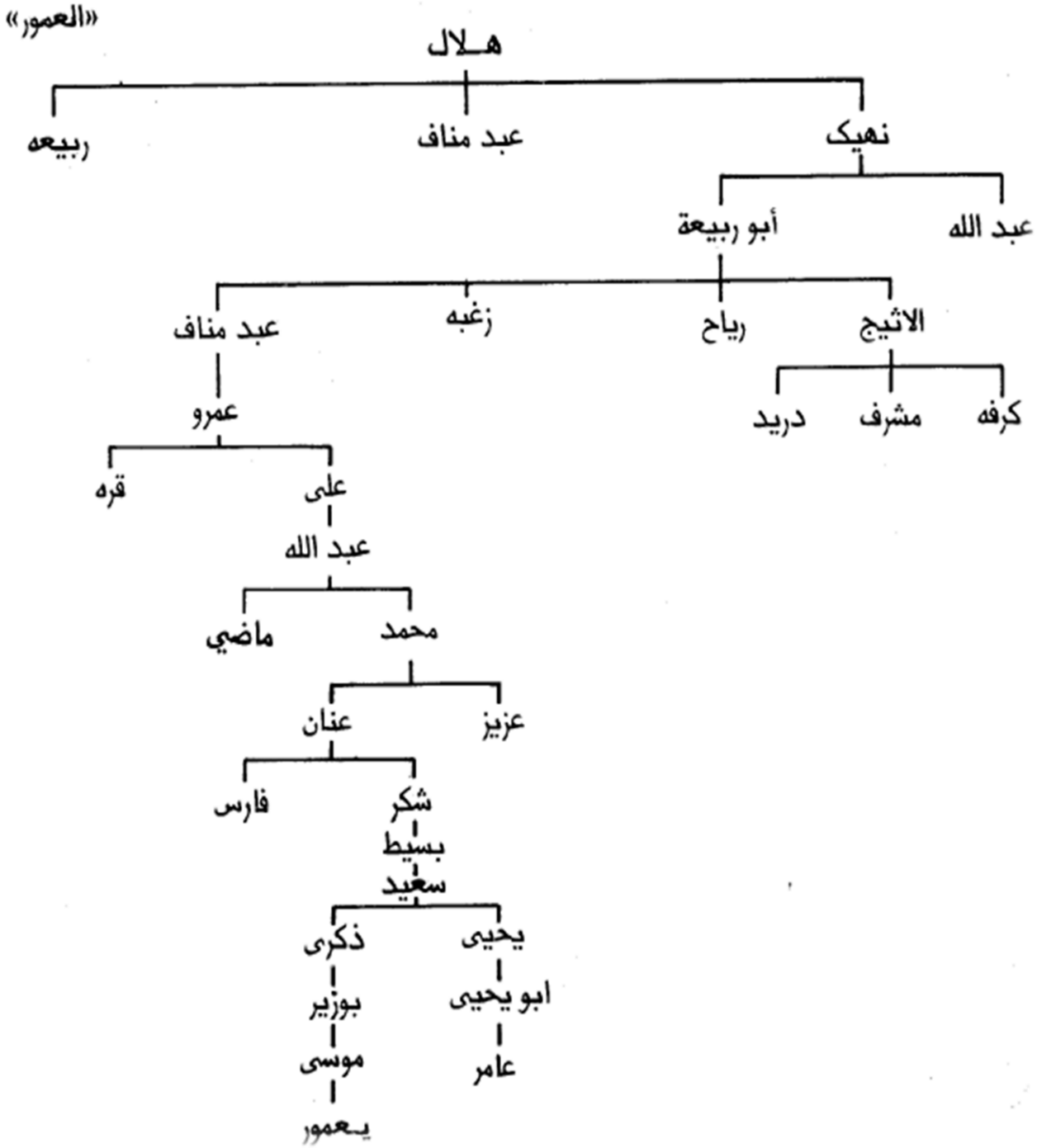

[1]- ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون (ت808ه)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: محمد علي بيضون، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م)، ج6، ص36.

الملحق رقم (03) مخطط يوضح شجرة قبيلة الأثبج الهلالية[1]

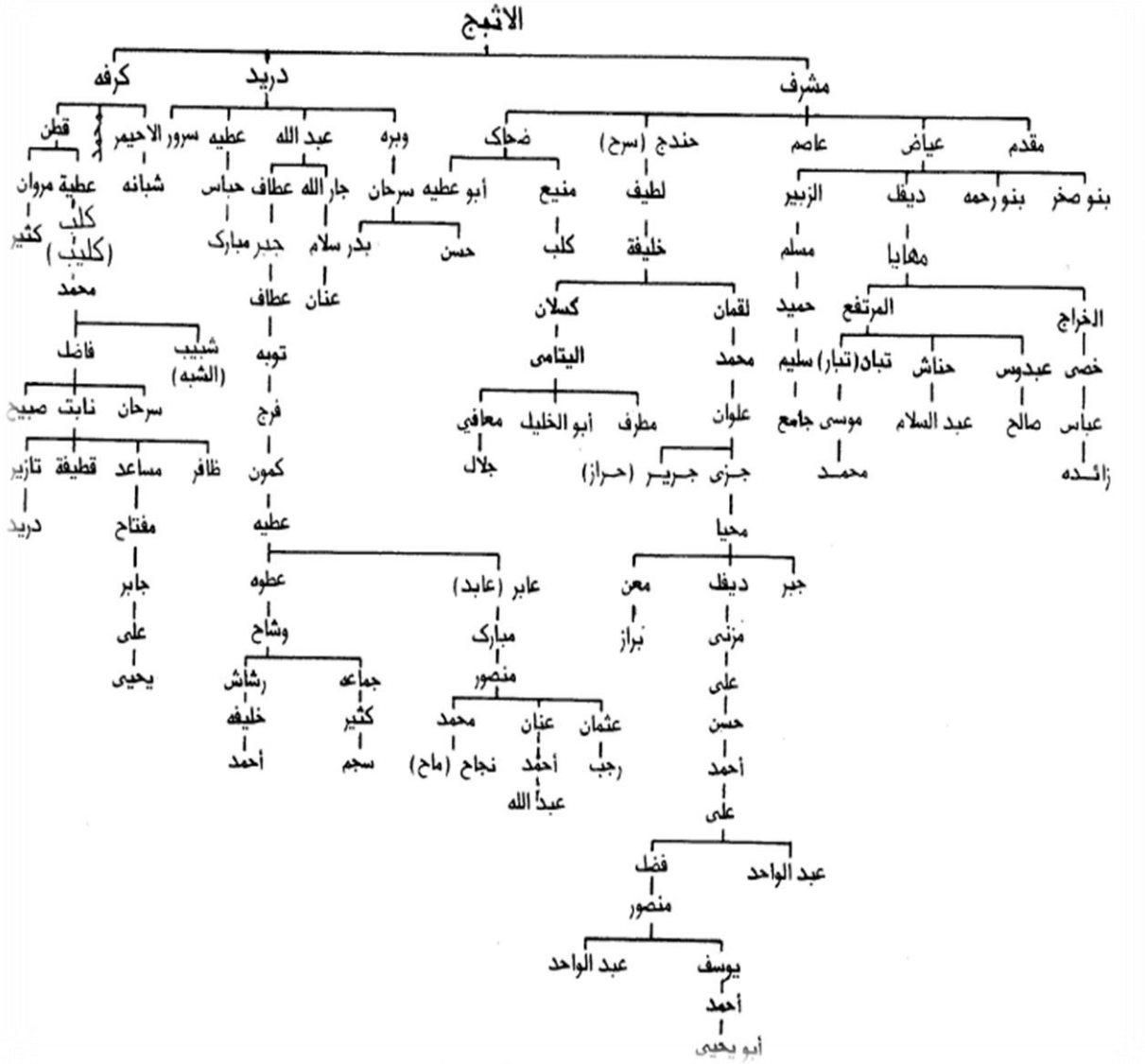

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد ، المرجع السابق، ص333.

الملحق رقم (04) مخطط يوضح شجرة قبيلة رياح.[1]

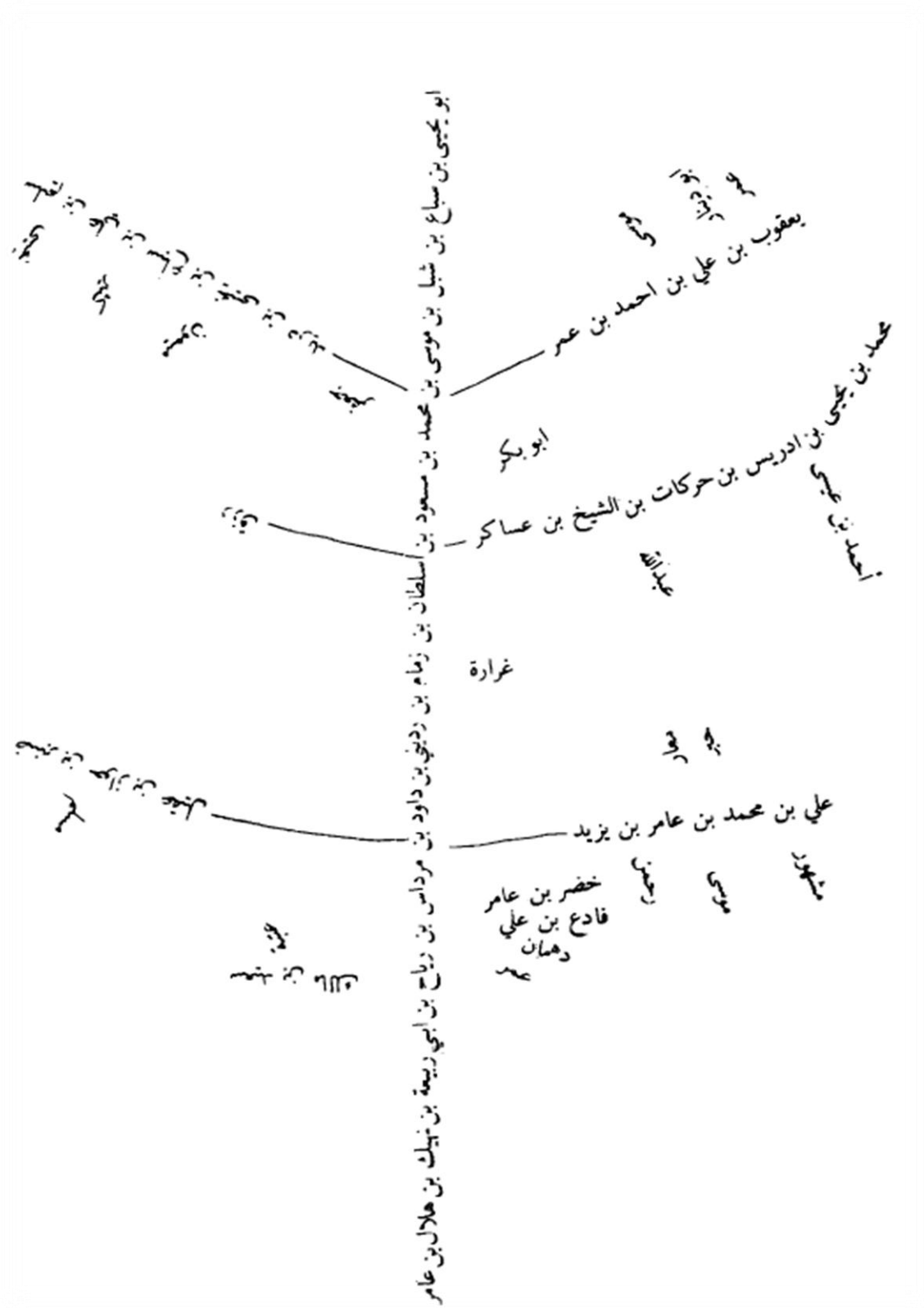

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص50.

الملحق رقم (05) مخطط يوضح شجرة قبيلة زغبة الهلالية.[1]

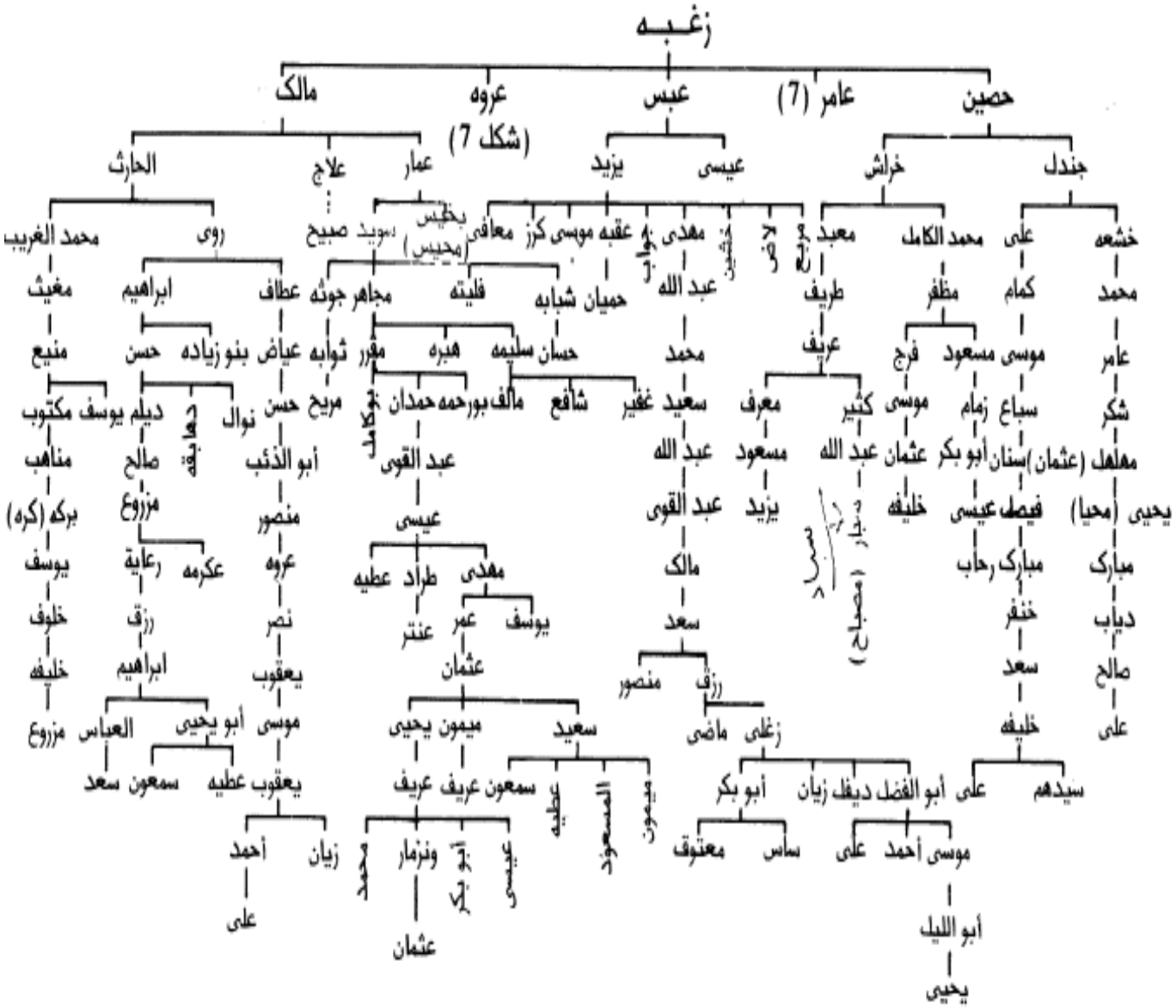

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد ، المرجع السابق، ص337.

الملحق رقم (06) مخطط يوضح شجرة قبيلة المعقل.[1]

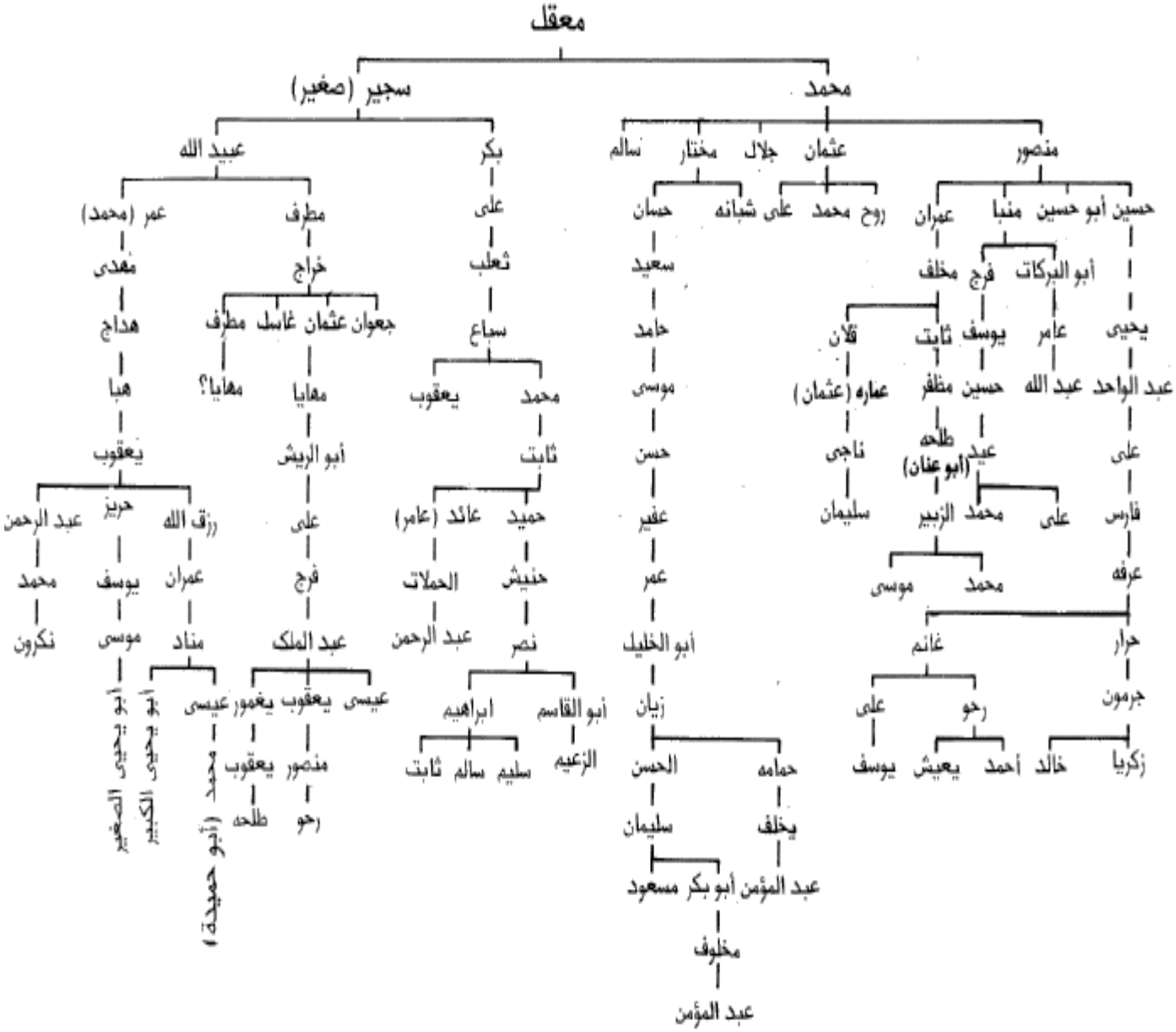

[1]- مصطفى أبوضيف أحمد ، المرجع السابق، ص339.

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن (630هـ). **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 1997، ج8.
2. ـــــــــــــ .**اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر، 1980، ج3.
3. ابن الحوقل، أبو القاسم محمد (367هـ). **صورة الأرض**. القاهرة: شركة نوابع الفكر، 2009.
4. ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد. **الإحاطة في أخبار غرناطة**. تقديم: بوزيان الدراجين. الجزائر: دار الأمل للدراسات، 2009.
5. ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت384هـ). **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط5. مصر: دار المعارف، 1982.
6. ابن حماد، الصنهاجي (627هـ). **أخبار ملوك بني عبيد**. تحقيق: نشيدة سليماني. الجزائر: معهد العلوم الاجتماعية، 1979.
7. ابن خلدون، عبد الرحمان (ت808هـ). **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. تحقيق: محمد علي بيضون. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1992 ، ج1، ج2، ج3، ج4،ج5، ج6.ج7.
8. ابن سعد، الهاشمي، **الطبقات الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، ج8.
9. ابن عذاري، المراكشي (712هـ). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**. تحقيق: كولان ليفى بروفنسال. بيروت: دار الثقافة، 1980، ج1.
10. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، 2003، ج1.
11. أبو الحسن، المسعودي. **التنبيه والإشراف**. مصر: مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، 1938.

12. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (487هـ). **المسالك والممالك**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992، ج2.
13. التجاني، أبو محمد عبد الله (721هـ). **رحلة التجاني**. تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب. تونس: الدار العربية للكتاب، 1981.
14. الحمودي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحسني الشريف الإدريسي (559هـ). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. القاهرة: المكتبة الثقافية الدينية، 2002، ج1.
15. الحميري، محمد بن عبد المنعم. **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تحقيق: إحسان عباس. ط2. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.
16. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان (902هـ). **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**. تحقيق: سالم غتر سالم الظفيري. ط1. السعودية: دار الصميعي، 2017.
17. صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم. تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة: مؤسسة المختار، 2005.
18. عبد الملك بن هشام، جمال الدين (213هـ). **السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. ط2. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955، ج1.
19. القاضي، نعمان (363هـ). **افتتاح الدعوة**. تحقيق: فرحات الدشراوي. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
20. القيرواني، ابن أبي دينار. **المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس**. ط1. تونس: مطبعة الدولة التونسية.
21. الكافيجي، محي الدين (ت879هـ/1474م). **المختصر في علم التاريخ**. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين. بيروت: عالم الكتب، 1940.
22. المراكشي، عبد الواحد (647هـ). **وثائق المرابطين والموحدين**. تحقيق: حسن مؤنس. بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 1997.
23. المراكشي، محيي الدين عبد الواحد. **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. شرح: صلاح الدين الهواري. بيروت: المكتبة العصرية، 2006.

24. مؤلف مجهول. **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**. تعليق: سعد زغلول عبد الحميد. ط2. العراق: دار شؤون الثقافة العامة، 1985.
25. النويري، أحمد عبد الوهاب. **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط – إفريقية والمغرب والأندلس صقلية وأقريطش من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**-. تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد. الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1985.
26. الوزان، الحسن بن محمد (957هـ). **وصف إفريقيا**. ترجمة: محمد حجي. محمد الأخضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1.
27. ياقوت الحموي، شهاب الدين (626هـ). **معجم البلدان**. بيروت: دار الأحياء، 1979، ج2.

ثانيا: المراجع

28. إبراهيم، إسحاق إبراهيم. **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1992.
29. أبو النصر، عمر. **تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة**. ط1. بيروت: دار عمر أبو النصر، 1971.
30. أبو ضيف، مصطفى أحمد عمر. **أثر القبائل العربية ببلاد المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجماعية، 1982.
31. أبو قاسم، سعد الله. **تاريخ الجزائر**. ط1. الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج2.
32. إحسان، النص. **القبائل العربية أنسابها وأعلامها**. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000، ج1.
33. إدوارد، سعيد. **الاستشراق**. ترجمة: كمال أبو ديب. ط3. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2003 .
34. أومليل، علي. **الخطاب التاريخي – دراسة لمنهجية ابن خلدون**. ط3. الدار البيضاء: 1985.

35. ـــــــــــــــ. **السلطة الثقافية والسلطة السياسية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

36. بدوي، عبد الرحمن. **مؤلفات ابن خلدون**. ط1. الجزائر: منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1962.

37. الجيلالي، عبد الرحمان بن محمد. **تاريخ الجزائر العام**. ط2. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965 ، ج1.

38. الخضيري، زينب محمود. **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**. بيروت: دار التنوير، 2006.

39. زغلول، عبد الحميد سعد. **تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبني زيري**. القاهرة: منشأة المعارف، 1990، ج3.

40. الساعاتي، حسن. **علم الاجتماع الخلدوني – قواعد المنهج**. ط4. بيروت: دار المعارف، 1978.

41. سرور، محمد جمال الدين. **تاريخ الدولة الفاطمية**. القاهرة: دار الفكر العربي.

42. السيد، سالم عبد العزيز. **المغرب الكبير**. بيروت: دار النهضة العربية، 1981.

43. ـــــــــــــــ. **تاريخ العرب قبل الإسلام**. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

44. الطمار، محمد. **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.

45. طه، حسين. **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**. تحليل ونقد. ترجمة: محمد عبد الله. ط1. القاهرة: مطبعة الاجتهاد، 1925.

46. الظاهري، عبد الحليم. **بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب**. الرياض: دار العلوم، 1981.

47. عبد الحميد، حسن علي. **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980.

48. عبد الحميد، حسن محمد. **المدينة والبادية في العهد الحفصي**. تونس: منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999، ج1.

49. عبد الحميد، يونس. **الهلالية في التاريخ والأدب التبعي**. القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، 1956.

50. العروي، عبد الله. **مجمل تاريخ**. الدار البيضاء: 2000، ج2.

51. العسيري، أحمد معمور. **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر**. ط1. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996.

52. علال، خالد كبير. **أخطاء ابن خلدون في كتابة المقدمة**. ط1. الجزائر: دار الإمام مالك، 2005 .

53. عويس، عبد الحليم. **دولة بني حماد، صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**. ط2. القاهرة: دار الصحوة، 1991.

54. كحالة، عبد القادر، عمر رضا. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997، ج3.

55. محفوظ، محمد. **تراجم المؤلفين التونسيين**. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994 ج2.

56. مولاي، محمد التقي. **أصول المغاربة**. الرباط: منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2016.

57. مؤنس، عبد الحميد حسين. **معالم تاريخ المغرب والأندلس**. ط2. القاهرة: دار الرشاد، 2005.

58. الميلي، محمد بن محمد مبارك. **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**. تحقيق: الميلي محمد. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007، ج2.

ثالثا: المعاجم والقواميس

59. زركلي، خير الدين. الأعلام: **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء**. ط 15. بيروت: دار العلم للملايين، 2002، ج8.

60. **المعجم الوسيط**. ط2. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1972.

رابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية

61. بلبشير، عمر. "جوانب **من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من خلال كتاب المعيار الونشريسي**". أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010.

62. بلمداني، نوال. "**نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)**". أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014.

63. بن عريب، مصطفى. "**مجتمع المغرب الأوسط: المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين (668هـ/1269م)**". مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة محمد بوضياف، 2017.

64. جاب الله عبد الله، عائشة. "**دور بني هلال السياسي والاجتماعي في إفريقية والأندلس**". مذكرة ماجستير، جامعة عمر المختار، 2009.

65. رحالي، محمد علي. "**بطون بني هلال في بلاد المغرب الإسلامي، مناطق استقرارها وآثارها من القرن 5هـ إلى القرن 7هـ/11م إلى 13م**". مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 2018.

خامسا: المقالات والمجلات والملتقيات

66. أجقو، علي. "**إسهامات العلامة عبد الرحمان بن خلدون في التأسيس لمنهج البحث التاريخي**". مجلة تجسير للبحوث والدراسات، 2 (جوان 2021): ص ص 6-38.

67. بلخير، أحمد؛ بوعقادة، عبد القادر. "**القبائل العربية بالمغرب الإسلامي، (ق5هـ/11م) التواجد الهلالي بين القطيعة السياسية والأزمة الاقتصادية**". مجلة الأحياء. 30 (جانفي 2022): ص ص 943-956.

68. بورملة، خديجة. "**التغييرات السياسية والعسكرية والاقتصادية بالمغرب الأوسط في ظل الهجرة الهلالية**". مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ. 2 (ماي 2025): ص ص 388-407.

69. حميّش، عبد الحق. "**الفكر الاقتصادي عند العلامة ابن خلدون مقارنا مع النظريات الاقتصادية الحديثة**". مجلة دراسات اقتصادية إسلامية. 2 (جانفي 2007): ص ص 65-122.

70. دغفوس، راضي. "**دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة في إفريقية وبلاد المغرب**". أعمال الملتقى الدولي السابع :الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط. جامعة تونس، (أفريل 2012): ص151-171.

71. رحلي، صليحة. "**الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط قبيل رحيل الفاطميين إلى مصر حتى قيام الدولة الزيرية**". مجلة الباحث. 2 (ديسمبر 2023): ص ص 315-339.

72. سعيدوني، ناصر الدين. "**أين كتب ابن خلدون مقدمته**"؟ مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ. 3 (ديسمبر 2008): ص ص 07-15.

73. صالح، أحمد صالح. "**الدور الاجتماعي والثقافي لقبائل بني هلال في بلاد المغرب**". المجلة العراقية الأكاديمية العلمية. 11 (سبتمبر 2020): ص ص 216-236.

74. كرراز، فوزية. "**السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي** ". مؤسسة كان التاريخية. 12 (جوان 2011): ص ص 51-56.

75. معيزي، نذير. "**أسس المنهج التاريخي عند ابن خلدون**". مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية. 2 (جانفي 2021): ص ص 20-31.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

- **شكر وعرفان**

- **إهداء**

مقدمة..... **01**

- الفصل الأول-

« العرب الهلالية بالمغرب »

أولا: التعريف بالعرب الهلالية..... **13**

1- العرب الهلالية (النسب والأصل) **13**

2- إسلامهم..... **17**

ثانيا: دخول العرب الهلالية إلى المغرب..... **20**

1- أوضاع المغرب قبل دخول القبائل الهلالية..... **20**

2- انتشارهم ومناطق تمركزهم..... **26**

- الفصل الثاني -

« التعريف بابن خلدون ونظرته للهلاليين بالمغرب الأوسط »

أولا: التعريف بابن خلدون ومنهجه التاريخي:..... **35**

1- نسب ابن خلدون ونشأته..... **35**

2- حياته العلمية والعملية..... **37**

3- منهج ابن خلدون في الكتابة التاريخية..... **44**

ثانيا: نظرة ابن خلدون الى الهلاليين وتأثيراتهم بالمغرب الأوسط..... **49**

1- تأثيراتهم السياسية والعسكرية..... **49**

2- تأثيراتهم الاقتصادية..... **54**

3- تأثيراتهم الاجتماعية والثقافية..... 57
4- التأثيرات الحضارية لعرب بني هلال..... 62

- الفصل الثالث -

« الرد على ابن خلدون وحقيقة التواجد الهلالي بالمغرب الاوسط »

أولا: الرد على ابن خلدون في نظرته السياسية والعسكرية..... 67
ثانيا: الرد على ابن خلدون في نظرته للتأثيرات الاقتصادية..... 71
ثالثا: الرد على ابن خلدون في نظرته الاجتماعية والثقافية للهلاليين..... 75

خاتمة..... 81
الملاحق 85
- قائمة المصادر والمراجع..... 92
- فهرس المحتويات..... 100
- ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

تتناولت هذه الدراسة الهجرة الهلالية إلى المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، من خلال تحليل رواية ابن خلدون ومقارنتها بمصادر تاريخية أخرى، وكان هدفنا في بحثنا هذا هو إبراز دور هذه الهجرة كحدث تاريخي، أعاد تشكيل الخريطة الديموغرافية والسياسية والاجتماعية للمنطقة، مع التركيز على الجوانب السياسية والحضارية وتأثيرها في تعزيز العروبة والهوية الإسلامية.

وكشفت الدراسة عن الطابع المزدوج للهجرة الهلالية بين الاضطراب والاستقرار، والتخريب والتعمير، مؤكدة أن مقاربة ابن خلدون – رغم قيمتها – مشروطة بسياقها التاريخي وقد وُظفت لاحقًا في الخطاب الاستشراقي لإبراز صورة سلبية عن العرب، ومن ثَمّ فإن إعادة قراءة هذه الظاهرة في ضوء المعطيات الحديثة تتيح فهماً أشمل وأكثر موضوعية لمسارها وآثارها في تاريخ المغرب الأوسط.

- **الكلمات المفتاحية: الهجرة الهلالية، المغرب الأوسط، ابن خلدون، العرب، البربر.**

Summary:

This study examines the Hilalian migration to the Central Maghreb in the 11th century, focusing on Ibn Khaldun's narrative and comparing it with other classical and modern historical sources. It highlights this migration as a decisive event that reshaped the demographic, political, and social structures of the region, while emphasizing its dual impact between disruption and stability, destruction and constructio.

The research also shows how Ibn Khaldun's perspective, despite its scholarly value, was conditioned by his historical context and later exploited in Orientalist discourse to portray Arabs negatively. By re-reading the phenomenon in light of modern findings, the study provides a more balanced and comprehensive understanding of the Hilalian migration and its lasting role in strengthening Arab identity and Islamic culture in the Central Maghreb.

- ***key words**: Hilalian migration , Central Maghreb, Ibn Khaldun, Arabs, Berbers*